محمد شكري

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

جان جنيه في طنجة

تينسي وليامز في طنجة

منشورات الجمل

www.mlazna.com-RAYAHEEN

هذا الكتاب

إنها لمغامرات مليئة بالمفاجآت المدهشة أن تجد نفسك تحت الرقابة وبصورة مكتوبة من طرف كاتب آخر، وخاصة إذا كان هذا الكاتب ينتمي إلى ثقافة غريبة عنك كما هي الحال في عمل الكاتب المغربي محمد شكري. وقد مررت في الماضي بتجارب كان فيها تلك المفاجآت القاسية إلى حد كبير، ولكني أود هنا أن أعرب عن امتناني لمحمد شكري لأن المفاجأة، في هذه المرة، كانت تتسم بنغمة رقيقة مترعة بالحس الساخر، واللمسات المُوارَبَة غير المباشرة بما تنطوي عليه من تعاطف ضمني مكتوم.

تينسي وليامز

هناك كتابة جيدة أو كتابة سيئة، أما إطلاق التسميات فينقصه المعنى.

«كنت دائماً أكتب حتى قبل أن أحاول كتابة أيّ شيء». إن سيرة كاتب ما لاتبدأ لحظة شروعه في الكتابة، فالسيرة والكتابة قد تَحدثان ما قبل أو بعد تلك اللحظة». «لم أبدأ الكتابة حتى بلغت الخامسة والثلاثين».

في مقال كتبته عن كِرْوَاكْ قبل أن أرى مذكرات شكري، قلت نفس الشيء بالضبط: «قبل أن أكتب شيئا على الورق كنت قد كتبت دائما».

هذا الاقتناع المُشْتَرَكُ هو الذي مكّننا، جان جنيه وأنا من التخاطب، في شيكاغو، بالرغم من فرنسيتي الفظيعة وإنجليزيته التي لا وجود لها. ولو أنه اعتبر نفسه وجوديا أو عبثيا لكان هذا التخاطب شبه مستحيل.

عندما قرأت مذكرات شكري رأيت جان جنيه وسمعته بوضوح كما لو أنني كنت أشاهده في فيلم.

من أجل أن يحقق الواحد دقة من هذا النوع عن طريق سرد الأحداث وتسجيل ما قيل فيها على المرء أن يمتلك صفاء نادراً في الرؤية. إن شكري كاتب.

وليام بُرُوز

WILLIAM BURROUGHS

جان جنيه في طنجة

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

www.mlazna.com-RAYAHEEN

١٨-١١-١٩٦٨

كنت في مقهى سنترال مع جيرار بيتي GERARD BEATTY فجأة قال:

– انظر! ها هو ذا جان جنيه.

يمشي ببطء، يداه في جيبيّ سرواله، ملابسه مهملة، وسخة، ينظر باستمرار نحو سطيحة مقهى سنترال.

توقف. التفت إلى مقهى فوينتس FUENTES ثم اتجه إلى مقهى طنجة. قلت لجيرار:

– أريد أن أعرفه.

قال بانفعال:

– من الأحسن ألا تفعل.

– لماذا؟

– إنه يتضايق من معرفة الناس بسهولة. الانسجام معه صعب. هكذا سمعت عنه.

أنا نفسي كنت قد سمعت عنه أشياء كثيرة. كان قد قال لي مسؤول في المركز الثقافي الفرنسي:

– إن من يقترب من جنيه عليه أن يتوقع إمّا صفعة أو قبلة على وجهه. قررت أن أتحدى جيرار وما سمعته عن جنيه.

يجلس في مقهى طنجة إلى جانب شاب مغربي. تحدثنا، جيرار وأنا، حوالي ساعة عن الكتاب والفنانين الذين زاروا طنجة. عيني على النمل البشري في الساحة وعيني على صلعة جنيه اللامعة في الشمس. رأيته

ينهض. الثالثة مساء. قلت لجيرار:

– راقب ما سيحدث.

ثم نهضت واتجهت نحو جنيه. سمعت جيرار يقول لي بانزعاج:

– إنك أحمق. ارجع إلى مكانك.

التفت إليه باسما. أضاف:

– إنك سترتكب حماقة.

تقدمت إليه. توقف. يداه في جيبيه كما من قبل. مُنْحَنٍ قليلاً على نفسه. انتفض بِحَذَرٍ ناظراً إليّ بإحداد. سأعرف فيما بعد أن هذه هي حركته أمام شخص لا يعرفه. قلت له:

– أنت مُسيو جنيه، أليس كذلك؟

تردد قليلا ثم سألني:

– من أنت؟

– كاتب مغربي. (لم أكن قد نشرت آنذاك غير قصتين في مجلة الآداب البيروتية) مدّ لي يده.

– مرحبا.

رأيت جيرار بيتي ينظر إليّ من خلال نافذة المقهى بدهشة وابتسام. سِرْنا. بدأنا نتحدث عن الكتاب المغاربة وبعض المشاكل التي يلاقونها في الكتابة وصعوبة النشر. في طريق الصَّياغين سألته:

– هل تعجبك طنجة؟

– لا بأس بها.

لم أكن قد قرأت بعد كتابه «مذكرات اللص» وما قاله عنها: «طنجة الخيانة» REPAIRE DE TRAITRES.

– أليست من بين أجمل مدن العالم؟

– بالتأكيد لا. من قال لك هذا؟

– هكذا سمعت.

– ليس صحيحا. هناك مدن في آسيا أجمل بكثير.

أمام فندق المنزه، مدّ لي يده قائلا:

– أنا متعود على القيلولة. غدا، إذا شئت، يمكن لنا أن نلتقي في السوق الداخلي حوالي الثانية بعد الزوال. مع السلامة.

– مع السلامة.

كانت أول كلمة عربية أسمعها منه.

١٩-١١-١٩٦٨

لم أجد مكانا فارغا في رحبة مقهى طنجة فجلست في مقهى المنارة. أيجيء أم لن يجيء؟ إن البارحة أحسّها تسيل في الحاضر المنتظر.

ها هو قادم. يمشي بمهل كعادته، يداه في جيبيّ سرواله. أشرت إليه. برقت عيناه، ابتسم، وقفت، تصافحنا، نظراته تبدو أكثر مودَّة من أمس. طلب شايا بالنعنع، طلبت آخر لي.

– لا أعرف لماذا لم يترجموا بعض كتبك إلى العربية.

– ماذا تقصد، العربية القرآنية؟

– نعم.

أوضحت له أن «لاراب كلاسيك»، هو نفسه «لاراب كورانيك».

– لا أدري. لم يطلب مني بعد أحد ترجمتها. ربما سيفعلون ذلك في المستقبل. أعتقد أن العرب لا تهمهم أعمالي في هذه المرحلة. أنا

أعرف أن العرب عندهم حساسية أخلاقية مفرطة.

كان معي «الأحمر والأسود»، تصفح الكتاب.

– أتعجبك هذه الرواية؟

– نعم. قرأتها أولا بالعربية، واليوم أحاول قراءتها للمرة الثانية بالفرنسية. (أضفت:) إن حياة جوليان العائلية تمسّ جانبا من حياتي. هناك حادث متشابه: فقد باع سُورالْ ابنه جوليان لعمدة المدينة دورينال بثلاثمائة فرنك سنويا، وباعني أبي في تطوان بثلاثين بسيطة في الشهر لقهواجي حشاش في الحيّ الذي كنا نسكن فيه.

– هذا هو الخطأ، ولست أنت الوحيد. إنك لن تدرك أبدا جمال عمل أدبي بهذا الشكل. ينبغي لك ألا تقرأ عملا أدبيا متمثلاً أن حياة بطل ما تشبه حياتك. عليك أن تتجرد. إن حياة إنسان آخر ليست هي حياتك.

انبثقت في ذهني شخصية باسيليو (في صورة دوريان جراي)[1] يتحدث مع اللورد هنري عن الفن وعلاقته بالحياة الشخصية للفنان.

قلت له:

– أنا لا أقصد أنني عندما أقرأ «الأحمر والأسود» أتَمَثَّلُ أن حياة جوليان العائلية لها نفس شروط حياتي مع أسرتي. لقد حدث ذلك صدفة. إنني حينما أعيد قراءة الأحمر والأسود للمرة الثانية أو العاشرة فأنا إنما أعيد قراء حياة جوليان لاحياتي. ما يحدث هو أن جوليان يعطيني إحساسا جديداً بحياتي الماضية، عزاءً يُهَدِئُ حياتي الحاضرة.

– إنني أفهم.

١) رواية لأوسكار وايلدْ

أضفت:

– حياة جوليان كانت رائعة.

– صحيح. (أضاف:) ستندال كان من أعظم كتاب عصره.

– إن رفض مرسولْ الدفاع عن نفسه في «الغريب» يذكرني أيضا برفض جوليان الاسترحام أو الفِرارَ من سجنه. لقد كان موقفهما من العدالة سقراطيا.

– الأمر يختلف.

وتكلم طويلا عن الفترة التي كتب فيها ستندال روايته ثم قال:

– أمَّا كامو فقد كان أكثر حظا. كتب الغريب في الوقت الذي كانت فيه فرنسا قد تحررت من الإرهاب العسكري والسيطرة الدينية. إن بطل اليوم في الرواية الحديثة أكثرُ حرية في الرفض. إنه قلَّما يموت من أجل امرأة يحبها. محتمل أن تطلق عليه النار، لكن لن يستعذب حبها في زنزانة أو يردد إسمها وهو يقترب من المشنقة. يمكن أن يعتبر كافكا أول من كتب عن الرفض الغامض. خذ، مثلا، السيد ك. K في القضية. إن هناك حكما قاسيا ضده، أو هي مؤامرة لاغتياله على الأرجح، لكن ليست هناك أية قضية: ففي الوقت الذي كانت فيه حياته معرضة للخطر كان هو يمثل دوراً غرامياً هَزْلِياً مع امرأة.

بعد لحظة سألته عن صديقه سارتر. قال:

– لم أره منذ سنتين.

– لقد قرأت معظم كتبه. أتمنى أن أقابله ذات يوم.

– ممكن أن تقابله إذا شئت. (أضاف:) إن سارتر قبل الحرب ليس هو سارتر بعد الحرب. لقد خرج من سجن الألمان بجلد جديد. لو لم

www.mlazna.com-RAYAHEEN

يغير جلده لما صرنا صديقين. كان، من قبل، يرفض أن يتعرف على أشخاص أمثالي.

صحبته إلى فندقه. في الطريق سألته:

– هل تتكلم الإسبانية؟

–لا. (أضاف:) كنت في شيكاغو في شهر غشت. تعلمت فقط بعض الكلمات الجديدة بالإضافة إلى كلمات أخرى أعرفها منذ زمان.

– والإنجليزية؟

– أيضا لا.

فكرت في كتابه: «يوميات اللص» وذكريات شبابه في بَرشلونه. أهو يَكْذِبُ عليّ أم ماذا؟

ودعته أمام المِنْزه دون أن نتّفق على موعد.

١٩٦٨-١١-٢٠

كان صحبة براين جيسن BRION GYSIN آتيين من حومة بنشرقي. بادرني جنيه قائلا عن معنى الأحمر في رواية ستندال:

– اسمع، الأحمر لا يرمز إلى الجيش كما قلت لك البارحة، إنه يرمز إلى النّواب الذين كانوا يلبسون البرانس الحمراء. الأحمر يرمز إلى النُّواب والأسود يرمز إلى الرهبان.

١٩٦٨-١١-٢١

التقيت به في السوق الداخلي حوالي الثانية عشرة زوالا. تحدثنا زهاء ساعة. ألقى عليّ بعض الأسئلة عن الوضع الاقتصادي والثقافي في المغرب.

– هل يختلط الأساتذة عندكم هنا بتلاميذهم أثناء الاستراحة أو خارج المؤسسة؟

– كلا. لا الأساتذة المغاربة ولا الفرنسيون. هناك حاجز كبير يفصل الأستاذ عن التلميذ هنا.

– لكن لماذا؟

– لا أدري.

ارتسمت على ملامحه خيبة كبيرة. ثم تحدثنا عن الدين الإسلامي، والمسيحي، وعن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة ونزول القرآن. قال:

– أنا، شخصيا، أعتقد أن القرآن أكثر أمانة من متى، مرقس، لوقا ويوحنا.

كنّا نصمتُ لحظة ثم نبدأ حديثا جديدا. سألته:

– هل قرأت شيئا لكتاب عرب؟

– كلا، للأسف، فَقَط قرأت بعض الأعمال لكاتب ياسين. إنه صديق لي.

لكي أتأكد أضفتُ له:

– حتى طه حسين وتوفيق الحكيم لم تقرأ لهما؟

–من هما؟

– كاتبان مصريان. لقد ترجمت بعض أعمالهما إلى الفرنسية ولغات أخرى.

– للأسف لا أعرفهما. أتمنى أن أقرأ لهما شيئا ذات يوم.

١٩٦٩-٩-٢٤

أخبرني جيرار بيتي، هذا الصباح، أنه رأى جنيه في السوق الداخلي ZOCO CHICO. في المساء، قابلت برايْن جيسن في مقهى زاكورة ZAGORA. كان كَسْرُ رِجْلِه لايسمح له بعد أن يَتَمشى كثيرا. طلب مني أن أذهب عند جنيه في المنزه لكي أنقل له دعوته للغداء في منزله غدا حوالي الثانية عشرة.

كلمته من صندوق الاستقبال. قَبِلَ دعوة براين دون تردد. سألني بمرح:

– هل قرأت راهبة بارمْ؟

– ارتبكت قبل أن أجيبه:

– ليس بعد، لكني سأقرأها بالتأكيد في هذه الأيام.

– لقد نصحتك بقراءتها في العام الماضي. (أضاف:) أعتذر عن عدم استطاعتي النزول. لقد تناولت أقراص نيمبوطال. إلى اللقاء غداً عند الأمريكي.

في الطريق إلى منزله أخذ يتذمر من كَسر رجله ويشكو من بعض الأصدقاء الذين لايتركونه يعمل في كتابه الجديد.

دخلنا حانة بارادْ PARADE. طلب براين ويسكي وأنا بيرة. قلت له:

– ها هو جنيه يعود من جديد إلى طنجة.

شرب محتوى كأسه وطلب آخر.

– في هذه الأيام كنت أعيد قراءة بعض كتبه. إنني لا أصدق ألا يكون قد تلقى تعليما جدياً في تربيته. لا بدَّ أن يكون هناك سرٌّ في

تكوينه الأدبي يُخفيه. إن حياته هي إحدى أساطير هذا القرن في الأدب.

سألته:

– كيف تعتقد أنه قد تلقى تعليمه؟

– كنت قد سألته عن ذلك، لكنه اكتفى قائلاً: «إنني كونت نفسي أدبياً وسط اللصوص والبوهيميين في فترة خاصة. لقد كانوا يتكلمون فرنسية سليمة، وكانوا يقرأون كتباً جيدة.

قلت له:

– أنا لا أصدقك. لا بد أن تكون قد تلقيت تعليمك مع الرهبان في أحد الأديرة. إننا لا نتعلم لغة راسين في الشارع. من المحتمل أنك أيضا تعرف الإغريقية واللاتينية.

– وماذا قال؟

– لا شيء. شحب لونه. نظر إليّ مندهشا كأني اكتشفت سره ثم استرخى وضحك قائلا:

– لا شيء صحيح مما تقول. أؤكد لك أنني تلقيت تعليمي مع الملاعين في فترة خاصة لم تسبق من قبل ولم تستمرَّ طويلا.

صمت براين لحظة ثم قال بعد أن شرب من كأسه:

– إنني أُصِرُّ على أن هناك جنيه الثالث. الناس يعرفون جنيه اللص، جنيه العبقري، لكنهم لايعرفون جنيه الثالث:

جنيه السري.

كان بول بوولز PAUL BOWLES قد قال لي إنه عندما يقرأ عملاً لجنيه لايتعلم منه شيئا كثيرا، لكن أسلوبه يبقى أروع أسلوب لكاتب

فرنسي ما زال حيا. إنه مثل فرانسوا أنييون في زمانه.

سألت بول:

– عندما اكتشفت أعمال جنيه لأول مرة ماذا كان إحساسك؟

– اعتقدت أنه كاتب خليع، لكن فيما بعد غيرت رأيي.

ثم قال باتريك أوهيجينز Patrick O'Hliggins الذي كان حاضرا في منزل بول:

– أعتقد أن جنيه هو أول من فتح الأبواب على جمال وحزن الشذوذ الجنسي.

٢٥-٩-١٩٦٩

أكلنا الطاجين بأيدينا. لم يأكل جنيه إلا قليلا كعادته. بعد الغداء سأل (ح) جنيه:

– لماذا تقيم في فندق المنزه مع أنك تفضل صحبة المغاربة الفقراء وتهتم بهم؟

ضحك جنيه ضحكة خفيفة.

– أتعرف لماذا؟

– لا.

– لأنني كلب قذر. أنا أنزل في المنزه أو في الهلتون لأني أحب أن أرى هؤلاء الأنيقين يخدمون كلبا قذرا مثلي.

ضحكنا جميعا. قال (ح):

– ولماذا تكون أنت كلبا قذرا؟

– لأنهم هكذا يفكرون فيّ.

بْراينْ منزعج باستمرار بسبب كَسْرِ رجله. كنت أحمل معي الوجود والعدم (ترجمه إلى العربية عبد الرحمان بدوي)، وناسكة بارم والشرفة بالفرنسية. تَرَكَ الوجود والعدم فوق الطاولة بعد أن ترجمت له العنوان ثم أمسك كتاب ستندال.

– سارتر صديقي، لكن راهبة بارم أفضل عندي من الوجود والعدم.

قلت له:

– إنه كتاب معقد. منذ أكثر من سنتين لم أستطع أن أقرأ منه سوى مائة وثلاثين صفحة. أحياناً تضْطَرُّني جملةٌ واحدة إلى قراءة كتاب آخر.

– أنا نفسي وجدت صعوبة كبيرة لأفهمه في أول مرة. ذات يوم حملت معي الكتاب وذهبت عنده وقلت له:

– كتابك هذا صعب الفهم.

أخذ مني الكتاب وفهرس لي قراءته بشكل آخر. قال لي:

– أظنك الآن ستفهمه دون صعوبة كبيرة.

كان على حق. استطعت أن أفهم معظم الكتاب بالطريقة التي بَوَّبَهُ لي.

سألته:

– ولماذا لم يكتبه كما بوبه لك؟

– لأنه – حسب قوله – كتبه للاختصاصيين.

سأله (ح) جنيه:

– هل تعتقد أن الله موجود؟

قال جنيه ضاحكا:

– لا أدري. كل ما أعلمه هو أن العالم موجود. (ثم أضاف:) أنت كافر إذن!

قال طباخ براين:

– إن (ح) دائما هكذا، لكنه لايستطيع أن يشرح لماذا هو كافر. هو يتكلم هكذا فقط عندما يكون مع الأجانب أما مع المسلمين فهو جبان ومنافق. لا تَثِقْ فيما يقوله يا مُسيو جنيه، إنه يعرف أن الله موجود.

قال (ح) للطباخ:

– وأنت، هل تستطيع أن تشرح إيمانك؟

قال الطباخ:

– الله موجود. هذا يكفي ومن يناقش وجوده فهو كافر.

طلبت من جنيه أن يكتب لي إهداءه، على مسرحيته الشرفة. حاول كتابة الإهداء بالدارجة المغربية، وعندما لم تُسْعفه كل الحروف التي يريدها، كتبه بالفرنسية.

خرجنا حوالي الخامسة والنصف مساء. ودعنا جنيه في ساحة فرنسا. التقينا (ح) وأنا فتاتين. (ح) يعرف إحداهما. ذهبنا إلى شقته.

في حوالي الثانية صباحا ضجت في الغرفة الأخرى مشاجرة. جاءت إلى غرفتنا فتاة (ح) وهي تبكي. جلست قربي نصف عارية لاعنةً وحشية الرجال. لقد عضَّ شفتها السُفْلى. أعادها (ح) بلطف بالغ إلى غرفتهما. الفتاة النائمة إلى جانبي هي أيضا تنتحب. لم أرد أن أسألها

عَمَّا يُحْزِنُهَا. من بعيد تُسْمَعُ حفلةُ عرس:

الغيطة، والطبل، والزغاريد والدعاء بالخير. أصوات الابتهاج البعيدة دائما تُحزنني. فكرت: إن الإنسان جِدُّ هَشّ.

٢٦-٩-١٩٦٩

وجدته في مقهى المنارة. أحمل معي الأبله لدوستويفسكي ومجلات عربية: الآداب البيروتية، مواقف والمعرفة السورية. قال لي إنه من خلال قراءته لبعض الأبحاث لِكتّاب غربيين عن الأدب العربي أدرك أن الأدب العربي لا يمسُّ القضايا العالمية. الأدب العربي قاصر على الشعور العربي.

قلت له:

– إن بعض الكتاب العرب يعدونك وجوديا وآخرين عَبَثِيّاً.

نظر إليّ بدهشة.

– من كتب عني هذا؟

– بعض النقاد العرب.

– مخطئون هؤلاء الذين يكتبون عني هذا. أنا لست وجوديا ولا عبثيا. أنا لا أومن بمثل هذه التصنيفات. أنا إمّا كاتب جيّد أو سيء.

اقترب منّا غلام. صافحه جنيه بحرارة. التفت إليّ.

– إنه صديق لي. أعرفه من السنة الماضية.

تبادلا للحظة نظرات باسمة دون كلام. كلّمه جنيه بالدارجة المغربية مَشُوبة باللهجة التونسية. الغلام يبتسم بمرح وجنيه يشير إلى حذائه الممزق. قال للغلام:

www.mlazna.com-RAYAHEEN

– كم ثمن شراء حذاءٍ جديدٍ لك؟

قال الغلام بصوت هامس:

– ألفُ فرنك.

قال جنيه باسما:

– ألفُ فرنكٍ فقطّ؟

هزّ الغلام رأسه مؤكدا ما قاله. أعطاه ألفاً وخمسمائةِ ألفِ فرنك مؤكّداً له بمرح:

– إذا لم تشتر حذاء لك فلن تكون صديقي بعد اليوم. لن أكلمك مرة أخرى.

ابتسم الغلام وانصرف. قال لي:

– إنه غلام ذكي. لماذا لايكون في المدرسة؟

بعد لحظة سألته عما إذا كان يوافق سارتر على الكتاب الذي كتبه عنه.

– سارتر قرأ عليّ الثلاثمائة صفحة الأولى من الكتاب: «هل توافقني على المضيّ في كتابته أولا؟»

وبالطبع وافقت.

– بعض النقاد لاحظوا أن سارتر اهتم بتحليل أفكاره في الكتاب أكثر مما اهتم بأعمالك الأدبية كما فعل في كتابه عن بودلير.

– لست متفقا. لو لم يكن سارتر قد اهتم بأعمالي لما كَتَبَ عني ذلك الكتاب. إن كتبي وحياتي، التي يعرفها جيدا، هما اللتان أوحتا له بأفكاره عني.

– سمعت من براين أن ابن الشاعر بول كلوديل سيدعوك لحضور حفلة رسمية في القنصلية الفرنسية.

– لن أقبل دعوته. من عادتي ألاّ أقبل الدعوات الرسمية. لقد عرض عليّ قنصل كوبا في باريس أن أزور كوبا رسميا فرفضت. إن فيديل كاسترو صديقي، لكني لا أقبل منه أية دعوة رسمية. إن الرئيس الوحيد الذي قبلت دعوته وجلست معه على مائدته هو بومبيدو لأنه أعاد إلى باريس أحد أصدقائي الذي كان منفيا. إنني أكره دائما الرؤساء والمسؤولين. إنهم يمنعونني، مثلا، من الدخول إلى الولايات المتحدة بسبب شذوذي الجنسي ولأنني أيضا لص سابق. (أضاف بسخرية:) كان ليس في الولايات المتحدة جنسيون مثليون ولصوص قدماء مثلي. أيضا لا أستطيع دخول روسيا لأن جدانوف ZHDANOV صادر كتبي في عهد ستالين.

أمسك كتاب الأبله بالعربية وسألني:

– لمن هذا؟

– الأبله لدوستويفسكي.

– إني أحب الاخوة كرامازوف أكثر.

– براين BRION يعتقد أن الأبله أفضل.

في المساء، رأيته في السوق الكبير مع شاب مغربي أسمر، طويل ورياضي. كنت صاعداً من السوق الداخلي إلى البولفار. كانا يتجهان إلى طريق سيدي بوعبيد. فكرت: كذلك كان يمشي إلى جانب صديقه ستيليتانو STILITANO في أحياء برشيلونة أيام قال عن نفسه في كتابه «يوميات اللص»: ثيابي كانت وسخة وباعثة على الاشفاق، كنت جائعا وبردان. ها هي ذي الفترة الأكثر بؤسا في حياتي.

Mes Vetements etaient sales et pitoyables. Javais fain et froid.

Voici l'epoque de ma vie la plus misérable. بعد شهور التقيت بذلك الشاب الأسمر في السوق الداخلي وسألته إن كان جنيه يكاتبه فقال لي: أوه، ذلك الكاتب الفرنسي الغني. كان قد قال لي إنه سيرسل لي بعض المال، لكنه لم يرسل شيئا. إن مثل هؤلاء الناس إذا ذهبوا لايتذكرونك.

٢٧-٩-١٩٦٩

كنا نقترب من فندقه. سألته:

– هل قرأت شيئا لتينسي وليامز؟

– كلا. ولا أريد أن أقرأ له أيّ شيء.

– لماذا؟

– من خلال بعض المقالات النقدية التي قرأتها عن بعض أعماله تبين لي أنه ليس مهما بالنسبة لي.

– ألا تعرفه شخصيا؟

– في باريس كلمني ذات يوم هاتفيا. كنت مريضا قليلا. اتفقنا على أن نتقابل في اليوم التالي، لكن مرضي حال دون لقائنا.

– وكتاب «الفراشة» لهنري شاربيير ما رأيك فيه؟

– أهداه لي كاتبه، لكني لم أستطع أن أنهي قراءته. إنه كتاب مُمِلّ. ليس أدبا. مجرد مغامراتٌ مُبالغٌ في سردها.

رأيت جيرار بيتي مُقْبِلاً نحونا، قدمتُه لجنيه. أبدى جيرار إعجابه بيوميات اللّصّ ثم تحدث قليلاً عن طنجة وأهلها. فجأة قال:

– حتى رجال الأمن هنا إنسانيون. لقد ساقوني أمس إلى الكوميساريا لأنني لم أكن أحمل معي جواز سفري، لكن بعد بضع

دقائق سرحوني. إنهم إنسانيون.

وهنا قال له جنيه وقد بلغ منتهى غضبه:

– اسمع، من فضلك: إنك تهينني. أنت تعرف، إذا كنت قد قرأت كتبي، أنني لا أحب البوليس، ومع ذلك تقول لي أنت مثل هذا الكلام. إن رجال البوليس لم يكونوا قطُّ إنسانيين، ويوم يصيرون إنسانيين فلن يعودوا رجال أمن.

ودَّعني جنيه بسرعة ودخل الفندق.

٢٨-٩-١٩٦٩

كنا جالسين في مقهى براسوري دوفرانس عندما جاء أحمد صديق أدوار روديتي. سلم علينا وجلس. همس لي في أذني.

– سمعت أن هذا الرجل الذي معك كاتب فرنسي عظيم.

قلت له:

– هذا صحيح. وبعد!

– أطلب منك أن تترجم ما سأقوله له.

خشيت أن يكون طلبه يتعلق بالمال. سيأخذ عني جنيه فكرة سيئة ما دام هذا الشاب قد جلس معي. قلت لأحمد بانزعاج:

– لكن ماذا تريد أن تقول له؟

– سترى، عندي مشروع مهم وعظيم. أريد أن يساعدني على إتمامه.

ها هي ذي رائحة التسول تفوح من كلماته. أحرجني، سيرتكب حماقة مع جنيه وسأكون أنا المسؤول. قلت له:

– إنه يفهم قليلاً الدارجة المغربية. تكلم معه وحدك وأعرض عليه مشروعك، لكن حاول أن يكون معقولا ما ستقوله له.

قال:

– لا تخف.

ثم قال لجنيه:

– كيف أنت يا مسيو؟

قال له جنيه مبتسما:

– لا بأس.

ثم التفت إليّ يستفسرني بنظراته. قلت له بالفرنسية:

– أعرفه.

قال له أحمد:

– هل أعجبتك طنجة؟

فكرت: ها هي حماقته قد بدأت. قال له جنيه:

– شويا.

قال لي أحمد:

– أرجوك أن تترجم له ما سأقوله له حتى يفهم جيدا. أنت تفهمني وتعرف كيف تجعله يفهم.

قلت له:

– طيب، تكلم واعرض مشروعك.

– عندي كتاب مهم. أريد من صديقك هذا أن يكتب لي قصيدة طويلة أضعها في مقدمة الكتاب لكي تكون له قيمة كبيرة.

ترجمت لجنيه ما قاله أحمد. جاء النادل وسأل أحمد عمّا يريد أن

يتناوله.

– لا أريد أي شيء. أنا فقطّ جالس معهما. سأنصرف بعد لحظات.

لم أكن أملك ولو درهماً واحداً لأدعوه إلى تناول كأس قهوة على الأقل. فهم جنيه الموقف. قال للنادل:

– أعطه شيئا يشربه.

كنا نشرب أنا وجنيه الويسكي. نظر أحمد إلى مشروبينا وقال للنادل:

– أعطني أنا أيضا ويسكي.

قال لي جنيه:

– أسأل صديقك عمّا يريد أن أكتب له قصيدة طويلة.

ترجمت لجنيه فابتسم. قال:

– قل له إن دار جاليمار بعثتني إلى هنا لأكتب كتابا عن طنجة. وبما أني وقعت عقدا تقاضيت عنه تسبيقا من المال لأكتب ذلك الكتاب فلا يمكن لي أن أكتب له الآن قصيدة طويلة ولا قصيرة.

شجعتني جدية جنيه على ألا أضحك. كان جنيه يتكلم جادا. أعرف أن أحمد لايكاد يكتب صحيحا أكثر من اسمه بالعربية. ربما سمع من صديقه روديتي أن ما يكتبه الكتاب المشاهير يباع بثمن باهظ. لا شك أنه يريد الحصول على شيء يكتبه جنيه ليبيعه لصديقه روديتي أو لغيره. ترجمت لأحمد باذلا جهدي حتى لا أضحك.

قال:

– قل له إذا لم يستطع أن يكتب لي القصيدة في هذه المرة فسأنتظره

www.mlazna.com-RAYAHEEN

حتى يعود إلى طنجة في مرة قادمة أو يبعث لي بها من باريس.

ترجمت لجنيه فقال:

– قل له ربما، لكني لا أعده بشيء سواء عدت إلى طنجة أو بقيت في باريس أو في مكان آخر.

قال له أحمد بالدارجة بعد أن ترجمت له:

– بارك الله فيك آمسيو.

وضع له النادل كاس الويسكي. أشعل سيجارة ورشف من كاسه ثم قال لي:

– إن صديقك هذا رجل كبير. يظهر عليه أنه يساعد الناس.

دخل شخص مغربي يتأبط محفظة جلدية. حياه أحمد بإشارة من يده ودعاه أن يجلس معنا. كنت قد رأيته في منزل إدوار روديتي الذي يعرفه في باريس. كان قد قضى هناك حوالي عشرين سنة. قال لي روديتي عنه إنهم نفوه من باريس بسبب حماقاته. سلم علينا وجلس. قال له أحمد:

– هذا الرجل الذي معنا كاتب فرنسي كبير. تحدثت معه عن باريس.

سأل الشخص جنيه إن كان من باريس فقال لا. ثم راح يتحدث عن شوارعها ومقاهيها وضواحيها دون أن يعلق جنيه بشيء. فكرت: لقد اكتملت الآن الجلسة.

كان الشخص يتكلم باستمرار وجنيه ينصت له دون أن يقول أي شيء. أحمد، الذي لم يكن يعرف من الفرنسية إلاّ بعض الكلمات، لا شك أنه يعتقد أن ما يقوله صديقه لجنيه مهم جدا. كان أحمد فاغراً

فاه ويهزّ رأسه بين حين وآخر عندما يتكلم صديقه بحسرة عن ذكرياته في باريس. ردد مرارا:

– إيه نعم. أنا أيضا كانت لي هناك حياة جميلة.

دخل طفل كسيح يتوكأ على عكازين. اقترب منا. أخرج جنيه ورقة ألف فرنك ومدها له. مدّ الطفل يده اليمنى محتفظا بالعكاز تحت إبطه. لمعت عينا أحمد وصديقه. عينا أحمد كانتا أكثر بريقا. دخل المختار القزم الذي كان ينتظر رفيقه الكسيح خارج المقهى. اقترب منا بسرعة. جسمه قصير جدا ممتلىء ورأسه كبير يثقل على جسمه. بدا لي أسفل جسمه مثل بطيخة صفراء ورأسه مثل بطيخة حمراء. كانت حدبته الصغيرة تُقَوِّسُ ظهره. مد يده. لم يعثر جنيه على الصرف في جيبه. قال له جنيه بالدارجة:

– مشي مع صاحبك باش يقسم معك.

كان الكسيح قد بدأ ينسحب. لحق به القزم المختار داخل المقهى. بدأ يحاول أن ينزع منه الورقة المالية التي شدت عليها قبضته. يدفعه الكسيح بقوة. القزم يتراجع إلى الوراء ثم يعود هاجماً على قبضته. طلب جنيه من النادل خمسة دراهم ومدها لي كي أعطيها للقزم. نهض صديق أحمد وصرخ في الطفلين:

– اخرجا من هنا. كفى من هذا التسول.

حينما عدت إلى مكاني وجدت جنيه ينتظر من النادل صرف ورقة خمسين درهما. قبض الصرف وخرجت معه.

سألني:

– من هما ذانك الشخصان؟

– الشاب كان مظليا في الجيش المغربي، لكنه يبدو أنه الآن هارب أو مطرود.

– وماذا يعمل هنا في طنجة؟

فكرت أن أقول له إنه يحترف الدعارة والتسول مع الأجانب، لكني تذكرت أن جنيه نفسه كان يحترف نفس المهنة أيام فقره.

– لايعمل شيئا. إنه صديق لكاتب فرنسي اسمه إدوار روديتي يرسل له من الخارج مبلغا من المال كل شهر.

أمثلُ هذا الشخص هو الذي سيحمي بلادكم في حالة حرب؟ إنه لايصلح حتى لغسل الصحون. والشخص الآخر؟

– لا أعرف عنه أكثر من أنه عاش في باريس حوالي عشرين سنة ثم نفوه منها إلى المغرب.

– هل هو من طنجة؟

– كلا، إنه من الجنوب.

– وماذا يعمل هنا هو أيضا؟

– يقول إنه يعمل مراسلا لصحيفة مغربية تصدر بالفرنسية.

– لابد أن تكون صحيفة رديئة حتى يعمل معها مراسلا مثلُ هذا الشخص. إن فرنسيته فظيعة. (أضاف:)

– أرأيت كيف كان يصرخ في الطفلين! لم يكن له حق في أن يخاطب ذَيْنَكَ الطفلين بذلك الشكل.

١٩٦٩-٩-٢٩

رأيته مقبلا نحونا. قلت لأختي مليكة:

– إن ذلك الرجل الآتي سيجلس معنا.

من هو؟

– بابا. لقد قَبِلَ أن يصير أبي الروحي عندما أخبرته أن أبي يكرهني.

ابتسمت ثم قالت باشفاق:

– مسكين، كم هو وسخ!

– إنه مشهور وغنيّ.

– تكذب. إنه أفقر منك.

– قفي وصافحيه.

اقترب. ألقى نظرة فاحصة على أختي وابتسم لها. قلت له وهي تنهض لتصافحه:

– أختي مليكة.

– اسمي أنا جان. كم عمرك؟

– أربعة عشر عاما.

قال بمرح:

– أليس أقل؟

أجابت كأنها أهينت:

– كلا، كلا، أنا في الرابعة عشرة.

كانا يتكلمان بالدارجة. حين لا تسعف جنيه كلمة ما كنت أترجم لها. لم تكن تعرف إلا قليلا من الإسبانية وبعض الكلمات بالفرنسية. طلب جنيه ويسكي. قال لها ناظرا بمرح إلى الكوكاكولا أمامها.

– وأنت، لماذا لاتشربين الويسكي؟

– أنا لا أشرب الخمر.

– لماذا؟

– لأني مسلمة.

– لكن هناك مسلمين يشربون الخمر.

– إنهم يعصون الله وأنا لست منهم.

قاطعنا محمد الزراد، صديق جنيه، الذي وصل. تحدثنا طويلا عن الأوراق اللازمة للحصول على جواز سفره. وقفت أختي مودعة. وقف جنيه ليودعها. قلت له:

– إنها عائدة إلى تطوان.

تبتسم له. لم تعرف كيف تسحب يدها من يده. قال لها بالدارجة المغربية:

– غادي نشوفك في تطوان إن شاء الله.

هنا أيضا في طنجة لم أكن أرى فيه نظيفا سوى قميصه ويديه ووجهه. مكانه الذي ينام فيه اليوم لم يعد ضيقا ولا قذرا. لم يعد أيضا في حاجة إلى صديق مثل ستيليتانو Stilitano يضاجع مرة في الأسبوع صاحبة الفندق لتسوية ثمن النوم في غرفة قذرة وضيقة.

كان جنيه قد أبدى إعجابه مرارا بلثام وجلبات الفتيات المغربيات. «إن المرأة كانت دائما سراً مُبهما للرجل. La femme a toujours été un mystèr pour l'homme. حجابها هو الذي يترك الرجل يهتم بسرّ جمالها. إن النساء المغربيات بالحجاب يبدين أجمل.

مساء.

– وجدته ينتظرني قدام باب فندق المنزه. قلت له ونحن ندخل:

– في السنة الماضية لم يسمحوا لي بالدخول رغم أني كنت مدعوا

عند زميل إنجليزي.

– لماذا؟

– ربما لأني لم أكن لابساً جيدا. هذا ما خمنته.

– هل تريد الآن أن نذهب إلى مكان آخر؟

– بالعكس، يسرني أن أدخل معك لأول مرة إلى هذا المكان الذي أهانوني فيه.

جلسنا في الحديقة. نظر حوله، تحت المقاعد وفوقنا. لم يقل شيئا، لكني فكرت أنه يحتاط من أنهم ربما يكونون قد وضعوا لنا جهاز تسجيل في مكان ما. طلبنا كاسي ويسكي. كانت هناك شابة تسبح في المسبح رغم البرد. قال:

– طيب، لنتحدث عن مشكلتك في الكتابة والنشر. إنني لن أنصحك، لأن نصائحي ليست هي التي ستقرر مستقبلك. ما سأقوله لك هو أنك إذا كتبت شيئا جميلا عن المغرب، مثلا، فإن ما تكتبه هو الذي سيبقى. ليس لديك إلاّ أن تختار: أن تبقى هنا في وضعك أو تهاجر لتكتب ما لاتستطيع أن تكتبه هنا. أعتقد أن المسلمين قد تجاوزوا الأخلاق، والتقاليد والأحكام الموجودة في القرآن، لكن، مع ذلك، فما زال القرآن أعظم كتاب يقرأه المسلمون وغير المسلمين. إن الناس ما زالوا يقرأون أشعار بودلير ومالارميه ورامبو بإعجاب كبير. لماذا؟ لأن أسلوبهم ما يزال رائعا.

بعد لحظة قال:

– الوضع هنا جد متأزم. كل شيء يوحي بالبؤس عندكم هنا. الأجانب هم الذين يعيشون كما ينبغي للإنسان أن يعيش.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

١٩٦٩-٩-٣٠

جلسنا في سطيحة مقهى باريس. كنت أحمل معي الطاعون لكامو. سألني:

– هل تعجبك هذه الرواية؟

– نعم، أقرأها للمرة الثانية.

– هل يعجبك كثيرا ما يكتبه؟

– نعم، قرأت له كثيرا.

– ما رأيك أنت فيه؟

– إنه يكتب مثل ثور.

ضحكت. أضاف:

– لم يعجبني ما كتبه ولا شخصيته. لم أستطع قطُّ أن أنسجم معه.

– أنت تؤيد سارتر إذن في الخلاف الذي حدث بينهما؟

– بالطبع أنا متفق مع سارتر. كامو كان ينفعل أكثر مما يفكر.

وفي السنة الماضية كان قد قال عن فيكتور هوجو إنه كاتب ديماغوجي.

اقترب منا هيبي. قال لجنيه بالإنجليزية:

– أنا معجب بك. مسرور برؤيتك هنا في طنجة.

نظر إليّ جنيه. ترجمت له ما قاله الشاب. تصافحا بحرارة ثم مضى الشاب مُلوّحاً بيده ورأسه بينما جنيه يبتسم له. التفت إليّ قائلا:

– الهيبيون الأمريكيون رائعون، لكن آباءهم، الذين يعتقدون أنهم عاقلون، لا يطاقون.

جاء أحمد المظلي الهارب. جلس هذه المرة إلى جانب جنيه. أخذ

يكلمه بالدارجة المغربية وجنيه يرد عليه باقتضاب. قال لي:

– إن له أصابع جميلة. قل له هذا.

اندهشت.

– ماذا تقول؟ أصابعه؟

– نعم، أصابعه. قل له إن يديه جميلتان.

– قل له هذا أنت بنفسك إذا شئت. تكلم معه ببطء بالدارجة وسيفهمك.

سألني جنيه:

– ماذا يقول؟

– يقول إنّ لك أصابع جميلة.

نظر جنيه إلى يديه مندهشا وضاحكا ثم نظر إلى المظلي بعينين ضاحكتين. فكرت: ربما جنيه كان في حاجة إلى المزحة. لمس أحمد يد جنيه بحركة لطيفة مؤكداً له جمال يديه. قال لي جنيه:

– أسأله أيضا عن رأيه في صلعتي. ماذا تشبه؟

ترجمت لأحمد. قال له بالدارجة:

– صلعتك حتى هي جميلة.

قال لي جنيه:

– قل له ليس صحيحا ما يقوله. إن صلعتي تشبه مؤخرة قرد.

ضحكنا جميعا. جاء النادل ودعا جنيه أحمد أن يتناول معنا شيئا. كنا نتناول أنا وجنيه القهوة بالحليب. نظر أحمد إلى كأسينا وطلب مثلنا.

١-١٠-١٩٦٩

كنا في سطيحة مقهى باريس. قلت له:

– جان، يبدو لي أنك اليوم حزين.

– أنا دوماً حزين. (أضاف:) وأعرف جيداً لماذا ينبغي لي أن أكون دائماً حزينا.

احترمتُ حزنه. أنا أيضا كان لي حزني.

٣-١٠-١٩٦٩

كنا في مقهى زاغورة. سألته:

– هل لقيت صعوبة كبيرة في كتابة روايتك الأولى؟

– ليس كثيرا. الصفحات الخمسون الأولى من «سيدتنا ذات الزهور» Notre dame des fleurs كتبتها في السجن، وحين نقلوني إلى مكان آخر نسيتها في مكاني الأول. بذلت محاولة للعثور عليها، لكن دون جدوى. ومن جديد التحفت ببطانيتي وأعدتُ كتابة الخمسين صفحة من الرواية دون توقف.

تذكرت مالكوم لوري الذي أضاع مخطوطة روايته «من تحت البركان» في إحدى الحانات المكسيكية فأعاد كتابتها هو أيضا من الذاكرة مرتين عندما احترق منزله وفيه احترقت المخطوطة الثانية.

– أعرف أنك بدأت تكتب بعد الثلاثين، في الثانية أو الثالثة والثلاثين من عمرك.

– هذا صحيح.

– ألم تكن تفكر من قبل في الكتابة؟

– لقد كنت دائما أكتب حتى قبل أن أكتب شيئا. إن حياة الكاتب الأدبية لاتبدأ من الوقت الذي يبدأ فيه الكتابة. ما يحدث هو أن الصدفة إما أن تأتي مُتَقَدِّمَةً أو مُتأخِّرَةً.

قَصَّ علي حكاية رسام فرنسي نسيتُ اسمه. كان قد قضى حوالي أربعين عاماً وهو يرسم. ذات يوم دخل المطعم الذي اعتاد أن يتردد عليه. كان صاحب المطعم يعرف أنه مشهور. طلب منه أن يرسم له باقة ورد في مزهرية ليزين بها مطعمه. رسمَها حسب طلبه. حين ذكر له المبلغ الذي ينبغي له أن يدفعه ثمناً لباقة الورد المرسومة اندهش صاحب المطعم قائلا:

– كيف تطلب مني هذا المبلغ وأنت قد رسمتها في دقائق؟

– صحيح. لقد رسمتها في دقائق، لكنها تمثل تجربة أربعين سنة في الرسم. (ثم أضاف:) أتدفع هذا الثمن أم لا؟

رفض المطعمي أن يدفع فمزق الرسام رسمه.

– أنت منذ سنوات لم تكتب شيئا. هل تعتبر صمتك الأدبي ومواقفك السياسية نوعاً آخر من الخلق لاينفصل عن كتاباتك؟

– أدبيا، قلت ما كنت أريد أن أقوله. ثم حتى لو كان عندي ما أضيفه فسأحتفظ به لنفسي. أيام محنتي في السجن كانت عند القضاة، الذين أطلقوا سراحي، أسبابٌ لتركي في السجن، مع ذلك سرحوني. أكانت لحظة خوفهم أم لحظة فرحهم عندما سرحوني؟ ما حدث هو أنه كان لابدَّ من تسريحي، لكن هذا لايعني عدم احتمال بقائي في السجن حتى اليوم لولا أصدقائي مثل سارتر وكوكتو ومالرو وبيكاسو.

– هل تعني أن هناك لحظات تكون فيها الصدفة أقوى حتى من القانون نفسه؟

– محتمل. إذ ليس هناك «لا» مطلقة و«نعم» مطلقة. إنني جالس معك الآن هنا، لكن من المحتمل أيضا ألاّ أكون معك الآن هنا.

٨-١٠-١٩٦٩

كنا جالسين في مقهى براسوري دوفرانس. أخذ جنيه يتحدث مع صديقه محمد الزراد عن صعوبة العيش في أوروبا، خاصة بالنسبة لإنسان لايعرف إلاّ لغة بلده. كان الزراد يوافق على تحمل كل الصعوبات بينما جنيه يبتسم له باستمرار. كان يؤكد لجنيه أنه يستطيع أن يضحي بكل ما عنده هنا لكي يخرج إلى الخارج. إن مهنة الحلاقة، التي يعمل فيها مُساعداً، لم تكن تُدرّ عليه أكثر من خمسة أو ستة دراهم في اليوم. كان متزوجا وامرأته حاملا. قال لي جنيه:

– سأحاول أن أُنقذ هذا الشاب من هذه الوضعية المزرية بأي ثمن. في باريس سأُدبّر له وسيلة ليدرس الفرنسية. ينبغي له فقط ألا يملّ من الحياة هناك. أعرف أنه سيواجه حضارة لم يعش تقاليدها ولم يقرأ عنها شيئا. يجب أن تكون له عزيمة قوية لكي يعتاد على العيش هناك.

١٠-١٠-١٩٦٩

في الخامسة مساء تقابلنا في مقهى زاغورة ZAGORA. سألني عمّا إذا كنت أحدس أنهم سيعطون جواز السفر لصديقه محمد الزراد الذي سيصحبه إلى باريس. أفهمته أن الوسيلة السهلة للحصول على الجواز

لمن ليس مُوظفاً مع الحكومة وليس لديه عقد للعمل في الخارج أو تجارة هي الرشوة.

– جواز السفر يباع عندكم هنا إذن. وكم ثمنه؟

– حسب الظروف والعلاقات الشخصية: من خمسمائة درهم إلى ثلاثة آلاف درهم.

– هذا لايحدث في أية دولة أخرى إلاّ إذا كان الشخص هارباً أو جاسوسا. لقد جددوا لي جواز سفري في لندن في مدى ثلاث ساعات دون أن أستعمل اسمي الأدبي.

– إن هذا لايحدث بعد هنا.

في الخامسة والربع استقللنا سيارة أجرة وذهبنا إلى العمالة. كان هناك صفّ طويل من ذوي السحنات المهمومة. ظهر شخص نحيل، متوتر، لهجته عصبية قاسية. قال لي جنيه:

– ذلك هو الشخص الذي وعدني أن أعود إليه حوالي الخامسة والنصف.

– يغلقون هنا في السادسة.

كان الموظف المكلف بتسليم الجوازات يخرج بين الحين والآخر ليدفع أحد هؤلاء البائسين المنتظرين إلى الخارج أو يسبّه ثم يرجع إلى مكتبه. كان جنيه متوترا، يخطو خطوة أو خطوتين ثم يقف ويتمتم: إنه وحش ذلك الشخص الذي يسبّ هؤلاء الناس ويدفعهم بذلك الشكل الخشن.

ظللنا ننتظر حتى خرج جميع الموظفين إلاّ موظفي القسم الخاص بتسليم الجوازات. لم يكفّ الشخص النحيل، العصبي، عن إهانة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

شخص بين لحظة وأخرى. كان جنيه يستفسرني عمّا يفوتُه فهمه عندما يزعق ذلك الشخص في وجوه هؤلاء الأشقياء. أحيانا كان يخاطبهم جميعاً بلهجة من يُوَزّعُ الحظوظ. ذات لحظة أخذ يدفع شخصاً بِعُنْفٍ ساباً إيّاه. استفسرني جنيه. قلت له:

– يقول الشخص الوحش لذلك البائس إنه لن يسلمه الجواز ما دام هو يعمل رئيسا لقسم الجوازات.

– لماذا؟

– ربما لم يكن مبلغ الرشوة كافيا. أحياناً إذا حدث أن تحداه أحد هؤلاء البائسين يقوده إلى حيث تكبر له أظافر وحشية ولحية طويلة قبل أن يُقَدّمَ إلى المُحاكمة.

اقترحت على جنيه أن يقابل عامل الإقليم رأسا، لكنه رفض.

– إنني أكره هؤلاء البيروقراطيين الرؤساء.

وابن بول كلوديل؟ إنه قنصل!

– كلاّ. الأمر أفظع.

في آخر لحظة، قبل الإغلاق تكلم الشخص النحيل مع جنيه. قال له إنه يمكن أن يتساهل في تسليم الجواز للشاب إذا كان مِلفه مُتوفراً على جميع الوثائق اللازمة.

في الطريق، تحت الرّذاذ وريحٌ قويةٌ تصفعنا ونحن نقاومها من مكان إلى آخر، قال لي:

– إن ما يريده مني، ذلك الوحش، هو حفنة من الأوراق المالية، أليس كذلك؟

– تماما. أنت الآن بدأت تفهم جيداً ما يريده منك.

لم تمرّ أية سيارة أجرة فارغة. لم يرد أن نحتمي تحت أية سُتْرةِ متجرٍ أو مدخل عمارة. أمطرت السماء شرايينها النازفة. كنا قد تبللنا عندما جلسنا في مقهى باريس. طلبنا قدحي ويسكي. كان يدخن سيجارات بانتير PANTERA بتوتر. كان مستاء جداً من استغلال المغلوبين على أمرهم بالنفوذ والمال. صمتنا لحظة ثم قلت له:

– هل تعتقد أن الذين يقدرونك اليوم لشهرتك كانوا سيقدرونك لو أنك ظللت جنيه الذي كان يعيش في برشيلونة أو في أيّ مكان آخر؟

يبدو أني باغته. تأملني ثم قال:

– أنت مدعو –إذا شئت– للعشاء معي في المنزه MINZAH.

القاعة تغص بالسياح الأمريكيين. الخدم المغاربة يخدموننا بمرح. يعاملون جنيه كصديق وليس كزبون.

جنيه لايكف عن التنكيت معهم بدارجته المتلعثمة. السياح الأمريكيون يأكلون ولا يتوقفون عن الكلام إلاّ عند البلع. قال لي جنيه بلهجة ساخرة:

– انتبه! (تطلعت إليه باسما) أتسمع؟ إنهم يمضغون محركات طائراتهم أينما كانوا: في الفيتنام أو في الشرق الأوسط أو في المطاعم.

عازف البيانو ينتقل من لحن إلى آخر. قال جنيه:

– لم أسمع عازفاً أبداً أسوأ منه. إن عزفه يشبه مضغ هؤلاء لطعامهم وكلامهم.

جنيه مرح، لكنه لايأكل بشهية. لم تعد له سوى قابلية التدخين وتناول أقراص نيبوطال Nembutal.

بعد العشاء تجولنا حوالي نصف ساعة في البولفار. اشترى بعض

الصحف والمجلات وعاد إلى الفندق. سألته.

– ماذا تقرأ هذه الأيام بعد الصحف؟

– لا أقرأ شيئا.

حين اقتربنا من الفندق قلت له:

– يبدو أن الإقامة تروق لك في هذا الفندق.

– مدير الفندق يعرفني. لقد قرأ كتبي. يناقشني أحياناً في بعضها. على الأقل أحسني ضيفاً في فندقه وليس مجرد زبون.

كان خادم مغربي يعمل في الفندق قد حدثني عن بعض تصرفات جنيه: ينزل، أحيانا، من غرفته إلى بهو الاستقبال في منامته حافيا ليطلب علبة وقيد. وقد ينزل أكثر من مرة لطلب شيء آخر دون أن يستعمل هاتف غرفته مع جهاز الاستقبال.

١٢-١٠-١٩٦٩

قابلته في الحادية عشرة والنصف صباحا في مقهى باريس. كان معه صديقه محمد الزراد. دعانا إلى مطعم الميرادور للغداء معه. ما يزال يعاني ألما خفيفا في إحدى كليته. خلال أربع وعشرين ساعة استدعى ثلاثة أطباء مغاربة لتشخيص حالته. حقنه ثلاثتهم بمُسَكنات مختلفة. ودّعناه حوالي الرابعة بعض الظهر. كان لطيفا معنا. صعد إلى فندقه ليستريح دون أن أُحدّدَ معه مَوْعداً.

١٣-١٠-١٩٦٩

قابلته في الفندق حوالي السادسة مساء. كان مريضا. يمشي ببطء

شديد. ذهبنا إلى مقهى براسوري دو فرانس. حينما جلسنا قال لي:

– آمل ألاّ يأتي شخص آخر مثل المِظلّي الهارب ليُزعجنا. لم يعد يروق لي مقهى باريس. يتردد عليه كثير من الرواد الفضوليين. الجلوس هنا أكثر هدوء.

١٤-١٠-١٩٦٩

قابلته في فندق المنزه. تحسنت صحته. أهداني كتاب القرآن المترجم إلى الفرنسية. قال لي:

– لم أفهمه بوضوح. كثير من التعليقات في الهوامش تحتاج إلى معرفة جيدة للتاريخ العربي. هل قرأته أنت؟

– نعم.

– لاشك أنه رائع بالعربية.

– إنه معجزة اللغة العربية.

ثم راح يتحدث عن الإبداع الأدبي. معجب كثيرا بمالارمي. Mallarmé أستشهد ببعض الأبيات من قصيدته «نسيم بحري». Brise Marine طلبت منه أن يكتب لي بيتاً أعجبني. لم تكن عندي أية ورقة. كتبه في الصفحة الثانية البيضاء من كتاب القرآن(١). لم يكن مُتأكداً من صحة البيت، ولذلك وضع علامة استفهام. سألته عن معنى اسم مالارمي Mallarmé فقال مُبتسما:

إن اسمه يشير إلى ضعفه الجنسي: Mal-Arme. سيء التّسلح جنسيا. لكن عقله كان جيّدَ التسلّح.

(١) Sur le vide papier que la blancheur defond
لم يتذكر هذا البيت جيدا رغم أنه كتبه مرتين.

– هل نشر مقالك كله الذي كتبته عن الديموقراطية في شيكاغو ونشرته مجلة اسكوير؟ Esquire.

– كلا. نشر نصفه فقطّ، لكني وجدتُها فرصة لأبيع النصف الآخر لمجلة أخرى. أنا أعرف أنهم يشترون توقيعي وليس ما أكتبه عن الديموقراطية في أمريكا.

١٥-١٠-١٩٦٩

سافر محمد الزراد إلى مسقط رأسه في إحدى نواحي تطوان ليحصل على بعض الأوراق التي تنقص في ملف طلب جواز سفره. سألني جنيه:

– أتظن أنهم سيمنحونه تلك الأوراق في مسقط رأسه أم أنه سيواجه نفس الصعوبات التي يواجهها هنا في الدوائر المسؤولة؟

– كما قلت لك من قبل فإن كل شيء مرتبطٌ بعلاقته الشخصية مع المسؤولين هناك مباشرة أو مع الذين لهم صلة مع هؤلاء المسؤولين. وفي حالة عدم وجود أية علاقة تتدخل حفنة من المال لتسهيل تلك الصعوبات.

جاء حسن واكريم وجلس إلى جانبي. تحدثت معه عن أمكانية مساعدته لنا في الحصول على جواز سفر محمد الزراد. أبدى استعداده. إنه يعرف بعض الموظفين في العمالة. كان يدير فرقة إينُوزيسٌ للرقص المسرحي الشعبي. قدمته لجنيه كصديق يمكن أن يساعدنا في الحصول على جواز سفر محمد الزراد. انشرح. أكّد واكريم لجنيه أنه يستطيع أن يساعدنا جديا. أبدى جنيه اهتماما أكثر بواكريم حين قلت له إنه يدير فرقة مسرحية مغربية. تحدث جنيه عن

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الكيفية التي يجب بها على الفنان أن يقاوم ضدّ ما يؤثّر على حريته في التعبير والتطور حتى لا ينقاد إلى ظاهرة قارة للتحضر. ينبغي له أن يحافظ على أصالة رقصات بلده وموسيقاه. وكمثالٍ تكلم جنيه عن مسرح «نو» الياباني الذي تمكن من خلق فنّ شعبي عريق في أصالته وصفائه.

١٦-١٠-١٩٦٩

كنت في براسوري ذو فرانس. عاد محمد الزراد من تطوان حاملاً معه الأوراق الرسمية التي طُلِبَتْ منه في العمالة. كلفته بعض المال للحصول عليها بهذه السرعة. كنا ننتظر حسن واكريم. سألني جنيه:

– هل تعتقد أن واكريم يستطيع أن يساعدنا؟

– أعتقد.

دخل واكريم. طلب من الزراد أن يصحبه وحده إلى العمالة. وقف أمامنا نادل المقهى الأسود. قال:

– سمعت أن هذا الرجل كاتب عظيم.

– هذا صحيح.

– وأيضا سَخِيّ.

هذا أيضا صحيح.

تبادل معه جنيه ابتسامة ودّية. صافحه النادل قائلا:

– أنت رجل طيب.

قال له جنيه بالدارجة.

– حتى أنت رجل مزيان.

ناداه زبون فانصرف. قلت له:

– ألا تفكر أن تستعين بمساعدة القنصل ابن بول كلوديل للحصول على الجواز إذا لم نستطع أن نفعل شيئا بالوسائل المشروعة؟

– أبدا. أفضل أن أعطي حفنة من المال على أن أستعين بأحد في القنصلية الفرنسية.

١٧-١٠-١٩٦٩

كنت أحمل معي «الطاعون» لأنهي قراءته. جلسنا في سطيحة مقهى باريس. سألني:

– أما زلت تقرأ هذا الطاعون؟

– لقد أوشكت أن أنهيه.

– و «الشرفة» هل قرأتها؟

– ليس بعد

– لماذا؟

– أنتظر نهاية الشهر لأشتري نسخة أخرى.

– لكن لماذا؟

– لأن النسخة التي عندي مكتوب عليها اهداؤك.

– وبعد؟

– أنا متعود على القراءة في المقاهي ولا أريد أن تتسخ أو تضيع مني. أحتفظ بها كتذكار.

أخذ مني كتاب الطاعون وفتحه على الصفحة الأولى ونزعها قائلا:

– خذ كتابي وانزع منه هكذا الصفحة المكتوب عليها الإهداء.

اقرأ المسرحية ثم ألصق الصفحة في مكانها. إن قراءة الكتاب أفضل من تركه خوفاً على ضياع الإهداء المكتوب عليه.

ابتسمت ثم قلت له:

– إن أثمان كتبك غالية.

قال باسما:

– هكذا يمكن لي أن أربح أكثر.

– لماذا لم تطبع كتبك في طبعة الجيب؟

– لا أدري. ليست غلطتي. ناشري يتكلف بذلك.

لكي أغير الحديث قلت له:

– في السنة الماضية قلت لي إنك لم تر سارتر منذ سنتين.

– نعم، ولم أره بعد. ذات يوم في السنة الماضية كان يحاضر في السربون عندما ذهبت لأراه. أوقفتني طالبة لدى الباب وقالت لي إنه لايوجد أي مكان لأحد في الداخل. كان هناك أشخاص آخرون يريدون الدخول.

– لاشك أنها لم تعرفك.

– كانت طالبة ولم أرد أن أستعمل اسمي لأدخل.

نهضنا ورحنا نتجول في البولفار. قرب مقهى كلاريدج Claridge سألني عمّا إذا كانت هناك في طنجة مكتبة تُمثّل دار غاليمار. نقوده نفدت. لم أكن متأكداً من أن مكتبة دو كولون Librairie des colonnes تُمثّل غاليمار.

– محتمل أن تكون هذه المكتبة تُمثّلها.

استقبلتنا مدام جيروفي ببالغ اللّياقة. تكلم معها على انفراد. صعد

معها إلى مكتبها في الطابق الأول. راحا يتحدثان. كان براين جيسن قد قال لي إن جنيه لا يدع قطّ نقوده في أي بنك. دار غاليمار هي بنكه الرئيسي وفروعه كُلُّ المكتبات في العالم التي تَتَعَامَلُ مع غاليمار. عندما يكون في باريس وينفد ماله يدخل دار غاليمار ثم يخرج منها حاملا معه كيساً صغيراً محشواً بالأوراق المالية يخفيه تحت كبوطه كما لو أنه سرقه.

حينما خرجنا من المكتبة قال لي:

– أعتقد أن السيد روبر جيروفي زوجها يمكن أن يساعدنا في الحصول على الجواز. سننتظره في هذا المقهى. تكلمت معه زوجته وسيأتي بعد لحظات.

دخلنا مقهى كلاريدج. طلب هو قهوة بالحليب وطلبت أنا ويسكي. مرة أخرى غرقنا في الحديث عن الشعر. تكلمنا عن بودلير، فرلين، رامبو واسترحنا في معبد مالارمي. قال لي:

– سيكون بودي أن أقرأ لك قصيدة «نسيم بحري» لمالارْمي Mallarmé.

– سأطلب ديوانه من السيدة جيروفي Gerofi.

– فكرة حسنة.

أعطتني إيّاه قائلة:

– أرجو أن تقول للسيد جنيه أن زوجي سيأتي بين لحظة وأخرى.

شكرتها وخرجت. رأيت واكريم آتياً نحو المقهى. كان يبحث عنا في المقاهي الأخرى. دخلنا معا.

قال لجنيه:

– أعتقد أنه يوجد أمل في الحصول على الجواز.

تحدث جنيه عن إمكانية المساعدة التي يمكن أن يقدمها لنا السيد روبر جيروفي في الحصول على جواز السفر.

قال واكريم:

– إن له اتصالات كثيرة في العمالة لأنه معماري.

كانت حوالي الخامسة مساء عندما وصل السيد جيروفي. سلم علينا وجلس. قال لجنيه:

لقد تكلمتُ معي زوجتي. سأعمل كلّ ما في وسْعي لمساعدتك. غدا صباحاً سأتصل بموظف صديق لي في العمالة.

قال واكريم إن له أيضا موعداً هذا المساء مع موظف في العمالة يمكن أن يساعدنا. ركبنا في سيارة السيد جيروفي. كان جنيه ما زال يحتفظ بديوان مالارمي. لدى وصولونا دخل واكريم إلى العمالة وبقينا نحن ننتظره في السيارة. بحث جنيه عن القصيدة ورجا السيد جيروفي أن يقرأ قصيدة بريز مارين بصوته الحاد، الرقيق. وافقناه على روعتها. جاء واكريم وقال إن الموظف الذي يعرفه لم يكن موجودا. توتر جنيه وازداد عناداً للحصول على الجواز.

١٩-١٠-١٩٦٩

قابلت جنيه حوالي الحادية عشرة صباحا. ذهبنا إلى نهج إسبانيا. جلسنا في مقهى بويرتا ديل الصول Puerta del sol. فاجأنا صديقه جورج لاباساد. كان لاباساد يبدو جدّ قلق. يتحدث بتوتر. لم تعجبني شخصيته.

في المساء، التقيت جنيه مع لاباساد في مقهى براسوري دوفرانس. قال لي جنيه:

– نحن مدعون لتناول الشاي في منزل آل جيرُوفي. أنت أيضا مدعوٌّ معنا.

كدت أرفض لنفوري من جورج لاباساد George Lapassade. جاء السيد جيروفي Gerofi وحَمَلَنا في سيارته. وجدنا في منزله ايميليو سانث Emilio Sanz. كنت قد التقيتُ به في منزل إدوار روديتي. Edouard Roditi لم أكن أيضا أطيقه. إنه من هؤلاء الأشخاص الذين يُؤَرْجحُون وردةً في يدهم وهم يتكلمون ويشُمونها قبل أن يَرُدُّوا على سُؤالٍ ما أو يُبْدُوا رأيهم حول موضوع. الأثاثُ مُريح. أُغالبُ بعضَ التعب. طلبتُ من السيدة جيروفي كأس ويسكي. بدأ الحديث عن الأدباء الذين يزورون طنجة. ذكرت السيدة جيروفي تينسي وليامز الذي لم يعد إلى طنجة منذ عام ٦٤. الويسكي الذي أشربه بمهل ساعدني على الاسترخاء. كنت قد انزلقت في النُّعاس عندما أيْقَظَنِي صوتُ جنيه الذي قال:

– لقد وَضَعْتُ نفسي الآن في مقبرة الأدب.

كانوا يتحدثون عن المسرح. سمعت جنيه يقول إن شكل المسرح لم يعد مُجْديا. قلت له:

– وماذا تَراه مُجْدياً كشكلٍ للكتابة في هذا الوقت؟

قال:

– شكل آخر غير موجود بعد. أشكال الكتابة الموجودة حتى الآن استُهلِكت بما فيه الكفاية.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فكرت: يَحقُّ له أن يقولَ هذا ما دام قد ظهرت أعمالُه في طبعات جيدة. لو كان يفكر هكذا في الأربعينيات لما كتب أعماله. لَظلَّ جنيه المُتَسَوِّل واللص، جنيه المحكوم عليه بالمُؤَبَّد.

عندما نهضنا وتهيأنا لنخرج، رأيت ايميليو سانث يسحب كتابا من فوق رفٍّ ويُقدمه لجنيه طالباً منه أن يكتب عليه إهداءه. نظر إليّ جنيه مُستشيرا بعينيه. هززتُ له كتفيَّ قائلاً له في خيالي: «إيّاك أن تفعل. تَذكَّر تقززك من الأغنياء المُتعجرفين. قال له جنيه:

– أعتذر، لستُ مُستعداً الآن لكي أكتب أيّ إهداء على أيّ من كُتبي.

قلت لجنيه في خيالي: برافو. Bravo.

في المصعد سألني:

– من هو ذلك الشخص؟

– من عائلة غنية جدا، بَنْكيَّة، حسبما قيل لي.

– لم يُعجبني في شيء.

– أنا كَذَلك.

٢٠-١٠-١٩٦٩

كنت مع براين في براسوري دوفرانس. جاء جنيه حوالي السادسة والنصف مساء مع صديقه محمد الزراد. ذهب براين. تحدثنا حتى الثامنة والنصف. انصرف صديقه الزراد. ذهبت مع جنيه لنبحث عن صديقه جورج لاباساد في السوق الداخلي. وجدناه مع بعض الشبان المغاربة في مقهى سنترال يتحدث معهم عن غناوة، وحْماتْشة،

وجيلالة وهداوة. كان مهتّماً بطقوسها وأُصولها. ذهبنا إلى حانة– مطعم ماريا. طلبنا زجاجة نبيذ. شرب جنيه كأسا واحدا. لم يرد أن يتعشى معنا. صحبناه لاباساد وأنا إلى الفندق. صحبت لاباساد لأقدمه لبراين. غفوت تعبا وتركتهما يتحدثان عن طنجة أيام المافيا وتصفية الحسابات بالمُسدسات في السوق الداخلي. أفقت حوالي الثانية صباحا. كان ما يزالان يتحدثان. انصرفت تاركاً هناك لاباساد مُعْجباً بحديث براين عن يهود طنجة والأجانب الذين اشتروا أجمل أراضيها بِأبْخَسِ الأثمان.

٢١-١٠-١٩٦٩

جنيه، براين، لاباساد وأنا ذهبنا نَتَجول في أزقة السوق الداخلي. قصدنا منزل[1] مانولو في حيّ بنشرقي. وجدنا هناك العجوز الإيطالي البرتو جالساً في انتظار من يَجيء. قَدَّم لنا مقاعد قديمةً اهتزت عندما جَلَسْنا عليها. القاعة باردة مِثْلُ ثلاَّجة. الرطوبة على الجدران، الأثاث وَسِخٌ فقد لونه. أخذ براين يتحدث عن شهرة المنزل أيام كانت طنجة دولية. قال لاباساد:

– إن هذه المدينة اليوم ميتة. لم يبق شيء من عظمتها.

تذكرت حلم جنيه بطنجة في إسبانيا وهو مُقَرْفَصٌ نَائِمٌ إلى حائطٍ مُحْتمياً به من الريح. كانت طنجة تبدو له مَلْجَأً لِلْخَوَنَة والمجرمين.

عرض علينا العجوز الإيطالي نصف زجاجة نبيذ. فكرت: قد تكون هذه البقية احْمضَّت هي أيضاً وفقدت طَعْمَها. شكرناه. قال

١) ماخور للوطبيس

لنا:

– أنتم ترون. لم يبقَ هنا شيء. الجوُّ ميّت. منذ عشرين سنةً كان دائماً خمسة أو ستة أشخاص ينتظرون نوبتهم للدخول. أما اليوم فلا يكاد يدخل أكثر من ثلاثة أو أربعة أشخاص في اليوم. أحياناً يمضي اليوم كله دون أن نستقبل زبوناً واحدا.

وافقناه على ذلك الزمن الضائع الذي يتحدث عنه، لكن من المستحيل العثورُ عليه اليوم واسترجاعُه.

٢٢-١٠-١٩٦٩

صَحِبنا واكريم الى العمالة حوالي الخامسة والنصف. كان واكريم قد هَيّأ مقابلة لجنيه مع كاتب العامل الخاص. دخلنا مكتبه. استقبلنا بِتِرْحاب. جنيه يبدو عليه نوع من الارتياح اليوم في العمالة. سأله كاتب العامل عن العمل الذي سيشغله رفيقه محمد الزراد معه. قال له جنيه إنه سيشغله بستانيا في منزله في باريس. ضحكت في سري: جنيه يملك منزلا بحديقته في باريس. قال له كاتب العامل بالفرنسية:

Il va, donc, agir avec vous comme un Domestique

تأمل جنيه لحظة ثم قال له:

– اسمحوا لي أن أقول لكم إني لن أسمح أبداً أن أشغله معي. سيتكلف فقط بحديقة منزلي. سأحاول أن أبحث له عمن يعطيه دروسا خاصة في الفرنسية.

ابتسم كاتب العامل. يبدو أنه أدرك أن جنيه لايوافق على إطلاق صفة Domestique على إنسانٍ لأنّ الكلمة تعني الاستعبادَ والتدجين

ضِمْنَ معانيها. قال لجنيه:

– ينبغي لكم أن تُحرروا رسالة التزامٍ في هذا الشأن. سنَحتفظُ بها في مِلَفّه كَضَمانةٍ لمسؤوليتكم عنه في الخارج.

وافق جنيه على كتابة الالتزام غدا. ثم حدثه عن الظروف التي تُرْغمُهُ على السفر عاجلاً إلى باريس. وعده كاتب العامل أنه سيعمل كلَّ ما في وِسْعِهِ لِتسليم الجواز لِمحمدٍ غداً أو بعدَ غَد. خرجنا مسرورين من العمالة. قال لنا جنيه:

– يبدو هذا الرجل طيباً ومؤدباً.

التقيتُ بـ«لاباساد» في السوق الداخلي. كان جنيه قد دخل لينام. صحبني لاباساد إلى حان مطعم ماريا. أثناء العشاء قال لي لاباساد:

– إن جنيه قد انتهى. أين جنيه المغامر؟ جنيه في برشيلونة؟ في الجزائر، في تونس أو في اليونان؟

كان لاباساد على حق. لم تبق لجنيه سوى صيغة الماضي. كنت حين أساله عن أحد كتبه يجيبني دائما هكذا.

– آه! لقد كتبته منذ زمن بعيد.

ذات مساء قلت له:

– إنك تبدو اليوم على غير ما يرام.

نظر إليّ بنظرة خابية:

– هذه هي حقيقتي. إني دائما جدّ حزين.

فكرت: أهو يتحدث مع الآخرين بهذه الصيغة؟

ودعت لاباساد في السوق الداخلي. له ليله ولي ليلي. أهواؤنا تختلف. هو يبحث عن مثيله وأنا أبحث عن نَقيضي. ما يروقني فيه

هو بوهيميتُه رغم مكانته الفكرية. مثلُهُ كان يفعل هنا رولان بارت. لكن لاباساد يبحث عن طريدة مُتْعَته في كلِّ الدروب والمقاهي، أما رولان بارت فيجلس في مقهى سنترالْ وينتظر طريدته أن تُبَصْبِصَ له وترتميَ على حِضنه وسيجارتُه في فَمِهِ يتساقط رمادُها على سترته.

١٩٦٩-١٠-٢٣

اليوم حصل محمد الزراد على جواز سفره، اتفقنا مع العربي اليعقوبي على إقامة حفلة «غناوة» في منزله. حوالي الثامنة مساء بدأ الحفل. حضر مغاربة، فرنسيون، إنجليزيون وأمريكيون. رئيس جوق غناوة أسود كالفحم. من أول لحظة انسجم معه جنيه. راحا يتحدثان أثناء فترات الاستراحة. كانا كما لو أنهما يتعارفان من زمان. الغناء بالسودانية حزين والرقصات تشخيصية. إلى جانبي شاب يتناوب مع شاب آخر في الرقص. بين حين وآخر يترجم لي من السودانية إلى الدارجة بعض المقاطع فأترجمها بالفرنسية لجنيه. سال رئيس الجوق عن سنه فأجابه الشيخ باسما:

– لا أدري بالضبط، لكن عندما زار القيصر الثاني طنجة عام ١٩٠٥ كنت قد بدأت أمشي.

التفت إليّ جنيه:

– إنه جميل. جميل جدا هذا الرجل. (أضاف:) انظر، إنه يدخن الكيف كما لو كان له عشرون عاما.

نهض مصور من بين المدعوين وأخذ لنا صُوَراً عديدة. كان جنيه يبدو مَرِحاً عندما تُؤْخَذُ له صورة مع جوق غناوة، ومُتضايقاً عندما

يُصورونه مع الأجانب. لاباساد لايَكُفُّ عن تدخين الكيف وهزّ رأسه مع إيقاع بامبارا الحزين. استمرت الحفلة حتى حوالي الثانية والنصف صباحا. لاحظت أن جنيه كان منزعجا من حضور الأجانب. كان يغير مكانه باستمرار.

لدى خروجنا رأيت جنيه يُخْرِجُ حفنة من الأوراق المالية المدعوكة ويدسها في يد رئيس الجوق. كان ثمن الجوق قد دُفِعَ مُقدّماً. تبادل جنيه نظرات باسمةً مع رئيس الجوق. قال له جنيه باسما:

– مع السلامة.

أجابه الشيخ بمَرح:

– تصحبك السلامة.

١٩٦٩-١٠-٢٤

مساء.

كنا في مقهى براسوري دوفرانس عندما سألني جنيه بصوت خفيض عَمّا إذا كان واكريم يريد أن يتقاضى مَبْلَغاً من المال عن مساعدته في الحصول على الجواز. كان واكريم جالساً إلى جانبي ينظر إلى الشارع بنظرات شاردة. طلب مني جنيه أن أسأله عن ذلك. أخبرت واكريم فقال:

– شكراً يا سيد جنيه. إننا الآن صديقان. فقط سأطلب منك – إذا كان في إمكانك – أن تساعدني في شيء مهم جداً بالنسبة لي.

– أنا مستعد. فيمَ تريد أن أساعدك؟

قال واكريم:

– أن تكتب لي رسالة توصيةً لأحدِ أصدقائك في أمريكا كي

www.mlazna.com-RAYAHEEN

يساعدني هناك في الالتحاق بمعهد لدراسة الباليه.

وافق جنيه على كتابة التوصية له. ذهبنا إلى المنزه. جلسنا في قاعة الفندق. عندما صعد جنيه إلى غرفته ليجلب أوراقاً قال لي واكريم:

– إن التوصية التي سيكتبها لي أفضل عندي من مليون فرنك.

– معك الحق، لو أنك وافقت على المكافأة المالية التي أراد أن يمنحها لك لحطمت كل ما فعلنا لمساعدته في الحصول على الجواز.

جاء جنيه وكتب له رسالتين: واحدة لصديقه بارني روسيت Barney Rossets مُمثّل دار نشر جروف بريس Grove Press وأخرى لريتشارد سيفر Richard Seaver صاحب الدار السابقة. لاحظت أنه خَتَمَ رسالته لبارْني بهذه الجملة:

أحب كثيراً الدولارات الأمريكية!

J'aime tellement les dollars américains!

١٩٦٩-١٠-٢٥

ودعت جنيه في نهج إسبانيا، كان مصحوبا بجورج لاباساد وأساتذة فرنسيين جاءوا من الرباط لقضاء يوم عطلة مع لاباساد. جنيه سيسافر في الظهر صحبة صديقه محمد الزراد إلى إسبانيا ثم إلى باريس. أخبرت جنيه أنني تركت له في الفندق بعض الصور التي أخذت لنا في منزل العربي اليعقوبي مع غناوة. شكرني وانصرف.

١٩٦٩-١٢-٢١

لقيت محمد الزراد في السوق الكبير. ضحكنا قبل أن نتكلم. كان مسرورا. سألته:

– ماذا حدث. أين هو جنيه؟

– لا أدري أين هو الآن. إنني أعمل اليوم في جبل طارق منذ شهر. في سفرنا إلى فرنسا مررنا بمدريد. استقبلنا في المطار إسبانيون. كان بينهم صحافيون. بعضهم تكلم معه كصديق قديم. ألقوا عليه بعض الأسئلة وراحوا يكتبون. أخذوا لنا صورا.

– وأنت، ألم يلقوا عليك بعض الأسئلة؟

– نعم. أنا أيضا سألوني. قلت لهم بالكلمات القليلة الإسبانية التي أعرفها: إني صديق لجنيه مسافر معه إلى باريس. ذهبنا مع بعضهم إلى محل إقامة خاص. رحبوا بنا كثيرا خلال الأيام التي مكثناها هناك. حينما وصلنا إلى باريس تعجبت كونهم لم يستقبلوه بنفس الاهتمام الذي استقبل به في إسبانيا. ذهبنا إلى دار كبيرة مليئة بالكتب. (غاليمار) قال لي جنيه مازحا:

– أنا أسكن هنا.

لقد أدركت أنها دار نشر. قدمني جنيه إلى بعض أصدقائه ثم طلب من فتاة أن تأخذني معها في سيارتها لتطلعني على جمال المدينة. كانت المدينة رائعة، لكن الإنسان يضيع فيها كما تضيع الإبرة في كومة من التبن، تجولنا حوالي ساعة في السيارة الجميلة. كانت تسير بنا مثل حمامة. الفتاة أيضا كانت حمامة. (ضحك) حمامة تقود حمامة.

– وكيف كنت تتفاهم معها أثناء الجولة.

– كنا نبتسم لاغير. أحيانا نتبادل إشارات وحركات. كانت فتاة مؤدبة جدا. عدنا إلى دار الكتب وصحبني معه جنيه إلى فندق صغير. حجز لي غرفة صغيرة، بحث عن طالب فرنسي وقدمني إليه. كان جنيه

ينفق عليه.

بدأت أخرج مع الشاب حينما يكون جنيه مشغولا. كان الشاب يقيم معي في نفس الفندق وجنيه يسكن وحده في مكان آخر. بعد أيام أعطاني بعض المال وقال لي إنه سيسافر إلى بلد بعيد ليحضر هناك عرض إحدى مسرحياته ويسوي بعض الأمور المتعلقة بكتبه. حينما سافر انتقل الشاب الذي تركه معي إلى غرفتي لكي ننام معا في نفس الفراش. بصعوبة فهمت منه أننا هكذا يمكن لنا أن نقتصد بعض المال حتى يعود جنيه. كان يأخذني معه إلى أماكن كثيرة. كنت أخاف كلما خرجت معه من أن يتركني ضائعا في مكان ما حيث يمكن أن تحدث لي مصيبة في تلك المدينة الغريبة الهائلة. في الأيام الثلاثة الأولى كان عاقلا نوعاً ما ثم فجأة تغيرت شخصيته تماماً معي. أكان يريد أن يبعدني عن جنيه؟ غيرة؟ بدا كما لو أنه أصيب بمس من الجنون: أخذ يدخل إلى محلات تجارية ويشتري أشياء لاتعنيني في شيء، لكنه يدفعني إلى أداء ثمنها من النقود التي تركها لي جنيه. كنت أرى فلوسي تطير من جيوبي. فكرت أن أنقذ نفسي وأفوز بالمال الذي بقي معي قبل أن أصير متسولاً ضائعا في شوارع باريس. هكذا عدت إلى طنجة لأترك لزوجتي ما تبقى معي من المال ثم سافرت إلى جبل طارق حيث عثرت على عمل في نفس الأسبوع الذي وصلت فيه.

– ما رأيك في جنيه خارج طنجة؟

– هو نفسه كما كان هنا. طيب جدا، ولولاه لكنت ما زلت أربح خمسة أو ستة دراهم في اليوم أو عاطلا. من يعرف!

١٩٧٤-٨-٩

مساء. السادسة والربع

كنت جالسا مع صديقي مجيدو في مقهى ايسكيما. رأيته يمرّ. حملت كتبي ودفاتري ولحقت به. ضربت على كتفه. التفت بسرعة. تعانقنا بحرارة. اضطرب للمفاجأة. مشينا وسألني:

– ماذا فعلت في حياتك؟

– قلت له باعتزاز:

– ألفت كتبا جديدة. بعضها ترجم إلى الإنجليزية ونشر، وبعضها لم ينشر بعد.

لم يقل شيئا. ينظر إليّ باستمرار. ثيابه نظيفة هذه المرة: كبوط من الدان، بنطال وقميص أبيضان وحذاء قماشي رياضي أزرق. لايضع يديه في جيبيه كما في السابق. يبدو في صحة جيدة. وجهه مشرق. قامته أكثر استقامة. فكرت: ربما لم يعد يتناول أقراص نيمبوطال.

– لقد كتبت عنك كتابا صغيرا. ترجم إلى الإنجليزية ونشر في نيويورك.

لم يقل شيئا. ينظر إليّ باستمرار. استغربت لصمته. أهو لم يعد يروقه الكلام عن الكتب؟ لماذا سألني إذن عما فعلته؟ (أضفت:) نشرت بعض الصور في الكتيب.

– صور من؟ صوري أنا؟ كيف ذلك؟

– بعض الصور التي أخذت لنا مع غناوة في دار العربي اليعقوبي.

– أتذكر الآن.

وصلنا قدام مقهى براسوري دوفرانس. عرض عليّ أن أتناول معه

شيئا. قلت له ونحن ندخل:

– لقد مضت خمس سنوات على آخر مرة كنت فيها هنا.

– صحيح.

جلسنا في أول طاولة عند مدخل المقهى. سألني مباشرة:

– ماذا تفكر في قضية الصحراء المغربية؟

– كل مغربي مستعد أن يدافع عن استقلالها.

– هل تعني استقلالها الذاتي الكامل أو أنها ستكون جزءا من التراب المغربي إذا استقلت؟

– المغرب يدافع عن الصحراء كجزء من ترابه.

– هذا شيء آخر. (صمت) إن تلك المنطقة غنية بالمعادن خاصة البترول. ينبغي ألا تبقى تحت الاحتلال الأجنبي. هذا هو المهم. إنها ستصير كويت أخرى إذا استخدمت فيها التكنولوجية الحديثة.

قلت:

– هذا يقتضي تدخل دولة متقدمة تكنولوجياً في اقتصاد تلك المنطقة.

– هذا طبيعي. المهم هو ألا تستغل كليا من طرف دولة مستعمرة. (صمت) هل هناك أغلبية من المغاربة يهتمون بتحريرها؟

– طبعا. (صمت) لقد تحققت نبوءة نيتشه.

– حول ماذا؟

– حول سيطرة القوة العسكرية.

– هذا خطأ في الفهم. نيتشه قال إن الفيلسوف هو الذي ينبغي أن يحكم العالم.

– ولكن، واقعيا، الرجل العسكري هو الذي يحكم العالم.

– اسمع، إنني أفهم جيداً نيتشه. لست في حاجة إلى أن تتحدث لي عن فلسفته. تحدث لي عن الصحراء إن كنت تعرف عنها شيئا مهما.

قلت:

– الناس هناك ما زالوا يعيشون بوسائل بدائية. إذا لم يدخلوا في الحضارة المعاصرة سينتهون مثل إحدى قبائل الهنود في أمريكا أو البرازيل حيث يبادون بالجملة.

– ماذا تقصد بالبدائية والحضارة المعاصرة؟

– أقصد أن يعيش الإنسان عصره بالوسائل التي تسود العالم من اختراعات في سائر العلوم الإنسانية. ناس الصحراء لايهتمون إلا بالدين. إنهم يعيشون في حصار عن تقدم العالم.

– لقد قابلت هناك ناسا مثقفين. إنهم يتكلمون الفرنسية بطلاقة.

– لكن ربما فقط قابلت رؤساء الصحراويين.

(صمت) سألني إن كنت أعرف شخصيا الطاهر بنجلون. قلت نعم. ثم سألني عن الخطيبي والعروي. ذكر لي أنه بدأ يقرأ لهؤلاء. فكرت في سنة ٦٩ حين كان هنا. لم يكن يعرف إلا كاتب ياسين. سألته:

– ما رأيك في استقالة نيكسن؟

– لم يكن له حل آخر لينقذ جلده. إنه لص كبير.

سألته إن كان يرى أن السياسة الأمريكية الخارجية ستتغير بعد استقالته.

– ما أعتقد. ستبقى كما هي (صمت). لقد أخطأ العرب عندما

www.mlazna.com-RAYAHEEN

استقبلوا نيكسن بذلك الترحاب البالغ. الصينيون أخطأوا هم أيضا في استقباله بتلك الحفاوة.

– كان العرب مجبرين على استقباله أكثر من الصينيين. كانوا في حرب وما زالوا.

– الصين أيضا كانت معرضة للخطر السوفياتي. لكن، مهما يكن، فإن العرب والصينيين احتفوا بلص سياسي خطير. (صمت) الدعارة تتفَشَّى بسرعة مذهلة في طنجة.

– تقصد الدعارة اللوطية.

– نعم.

– لكن طنجة كانت دائما فردوسا للجنسيين المثليين. أعتقد أن الاستعمار هو الذي أورثنا هذه الحرية الجنسية التجارية.

– أريد أن أسألك: هل هناك شبان مغاربة يعترفون أنهم مخنثون؟

– طبعا يوجدون.

بعد لحظة قال:

– أعتقد أن السود متحررون أكثر من البيض تجاه المحرمات. ما رأيك أنت؟

– ربما لأنهم ما زالوا يحتفظون بطبيعتهم البدائية. إذا اعتبرنا عري الجسد حراما في الدين أو في العرف، فإن نسبة عراة الجسد في العالم بين السود أكثر منها بين البيض والأجناس الأخرى.

(صمت) قال:

– كنت أتَمَشَّى ليلاً في باماكو عبر مكان مُشَجَّر. التقيت بشاب أسود. اقترب مني وقال:

– إن الأشجار في حاجة إلى رجال.

قلت له:

– والرجال في حاجة إلى أشجار.

– إني أفهم تعبيرك ورغبتك أيها السيد.

ابتسمنا ثم أضاف:

– أنا أرواحي Animiste.

– وهكذا زالت الحواجز بيننا لنتعارف.

بعد لحظة نظر إلى كتبي وقال:

– أرى أنك ما زلت تحمل معك دائما كتبك.

– إنها عادتي منذ أن تعلمت القراءة والكتابة في مدينة العرائش. ١٨ عاما وأنا أحمل معي كتبا ودفاتر أينما ذهبت. لقد اكتسبت عادة القراءة والكتابة في المقاهي. إن صمت المسكن وخلوه من الحركة يبلدان وعيي.

(صمت)

– ألم تر محمد الزراد بعد أن عاد من باريس؟

– رأيته مرة واحدة فقط بعد عودته. التقينا في السوق البراني. روى لي رحلته معك إلى باريس عبر مرور كما من إسبانيا.

– كنت أعرف مسبقا أنه لن يستطيع العيش في أوروبا. لم أكن أريد منع رغبته في الذهاب معي إلى باريس. بدأ مللـه من الرحلة ونحن ما زلنا في مدريد. استضافنا أفراد فرقة مسرحية شيوعية كانت تريد تمثيل مسرحيتي «الخادمات». كنت أراه وحيدا بينما الصحفيون يستجوبونني ويأخذون لي صورا. أفهمته أني لا أملك منزلا خاصا بي في

باريس. ما أعتقد أنه صدق أني أقيم في الفنادق. كان يظن أني أخفي عليه منزلي. بعد أيام في باريس اضطررت أن أذهب إلى طوكيو لزيارة بعض الأصدقاء الذين استدعوني. كان جد متدين. لم يستطع أن يأكل اللحم في المطاعم لأنه كان يعتقد أن كل لحم خارج بلاده فيه رائحة الخنزير.

– هل أنت نادم لأنك اصطحبته معك؟

– أبداً لا. كانت تجربة لنا معا. ثم كنت أريد أن أساعده لأنه طلب مني ذلك.

كنت أحمل معي البارك الشابة لبول فالري وسجوني لبول فرلين. طلبت منه أن يشرح لي بيت فالري «Je me voyais me voir».

– إنه تأمل التأمل. كنت في وضعية الإله مع نفسي. إنني أخترق نفسي. ما هو جميل في البيت هو الأنا المتحركة، الأنا التي تكبر حتى تصير علامة على القلق: من أنا؟

أمسك كتاب فرلين ولم يقل عنه شيئا. كانت صورة فرلين بارزة على وجه الكتاب. خيل لي أن بينهما تشابها فسيولوجياً في الرأس والوجه.

١٠-٨-١٩٧٤

التقيته قدام مقهى باريس. كان ذاهبا إلى فندقه. تبادلنا كلمات حول الصحف التي اشتراها. لم يبد لي وديا هذا اليوم. شيء ما في رأسه عني. ربما هو منزعج بسبب الكتيب الذي كتبته عنه، لكنه أمس لم يقل لي شيئا. ودعته أنا أيضا ببرود.

مساء. الساعة ٥

قابلته في شارع محمد الخامس. توقفنا قدام مقهى باريس. مدّ لي يده قائلا:

– عندي موعد مع أحد...

ما زال كما قابلته في الصباح. فكرت: ربما هو لم يعد يرغب في أن يقابلني أكثر.

١١-٨-١٩٧٤

(من ١١.٤٥ إلى ٢ بعد الزوال)

رأيته جالسا في مقهى باريس يقرأ جريدة الرأي المغربية. كنت ذاهبا إلى السوق الداخلي. فكرت: هذه آخر مرة أكلمه فيها إذا عاملني بنفس برود البارحة. رآني أدخل. ابتسم. طَوَى الجريدة. صافحني. نظر إليّ من فوق نظارته. بقيت واقفا. عرض عليّ أن أجلس. قال:

– ماهي الأخبار الجديدة عن الصحراء؟

– لا أعرف أشياء جديدة كثيرة. سمعت أن المفاوضات ستجري يوم ٢٠ من هذا الشهر بين المغرب وإسبانيا.

لم يقل شيئا. كنت أريد أن أقول له إني لا أهتمّ بالسياسة. قلت له:

– أراك هذه المرة تهتم فقط بالسياسة. أتعتقد أن الأدب لم يعد يؤثر على الإنسان؟ هل انتهى دور الأدب تماما بالنسبة لك؟

– لم أهتم قط بالأدب. لقد كتبت أشعاراً وروايات عندما كنت في السجن. كتبتها فقطّ لأخرج من السجن.

ابتسمتُ وقلتُ له في خيالي:

– جنيه، هل هي عظمتك في تواضعك عندما تتكلم هكذا؟

– لكنك كتبتَ كتباً أخرى بعد خروجك من السجن.

– نعم، كتبتُ خمس مسرحيات، المسرح شيء آخر. (صمت) المسرح ليس أدبا.

– وكتابك يومية اللص.

– أيضا كتبته في السجن.

– هل ترى إذن أن بعض الكتاب لايكتبون أدبا جيدا إلا إذا كانوا في حالة حصار، في سجن حقيقي أو في سجن وهمي.

ركّز عليّ عينيه وقال:

– اسمع، أنت تسألني عن نفسي أشياء كثيرة. إني أخاف الآن أن أتحدث معك عن نفسي وعن آرائي الخاصة. أنت كتبت عني دون أن تستأذنني. كل ما قلته لك في المرتين السابقتين كان خاصا بيننا.

– لقد كتبت عنك بحسن نية.

– وإن يكن. كان ينبغي لك أن تطلب مني الإذن. أيضا نشرت صورا لأشخاص قد لايرغبون في أن تنشر صورهم. هل استأذنتهم؟

– لا. لكنني أعتقد أنهم لايمانعون في نشر صورهم والكلام عنهم.

– لايمكن لك أن تعرف. (صمت) إن كاتبا اسمه موريس ويست كنت قد كتبت له رسائل شكر فطلب مني منذ مدة نشر تلك الرسائل فلم ينشرها عندما رفضت.

فكرت: هذا هو سبب برودة معي إذن. إنه يحاكمني. لابد من الدفاع وإن كنت سأخسر.

– لم أكن أعرف عنوانك. ما كتبته عنك لايمسك بسوء في شيء.

انشرحت ملامحه.

– لايهم. لننس الأمر.

– هل تريد أن أعطي لك نسخة من الكتاب؟

– أنت تعرف أنني لا أقرأ الإنجليزية.

– يمكنك أن تعطيه لأحد أصدقائك ليقرأه ويقول لك رأيه فيما كتبته عنك.

– لايهم. دع الأمر يسقط.

جاء التركي وجلس معنا. سأله جنيه عن براين جيسن وعما يفعله.

قال:

– إنه ينتقل بين لندن وباريس.

سأله جنيه عن بلال صديق براين. ضحك التركي.

– لقد فعلها كبيرة هذه المرة.

– ماذا فعل؟

– سرق صديقا لنا. ذهبا معا إلى الشاطئ. أكتريا كابينة خاصة بهما. كان المفتاح مع بلال. ترك الأمريكي حتى ذهب إلى البحر ليسبح ودخل الكابينة وأخذ آلة تسجيل وألف درهم وهرب.

قال جنيه بمرح:

– حسنا فعل بلال. إنه يعرف جيدا ما يفعل.

قال التركي:

– هل تعتبر هذا العمل جيدا؟

قال جنيه ضاحكا:

www.mlazna.com-RAYAHEEN

– طبعا أعتبره عملا جيدا جدا. من الآن فصاعدا سأتخذ بلال صديقا لي.

قال التركي بخيبة:

– لكن الأمريكي صديق لنا: براين وأنا وبلال.

قال جنيه:

– حتى وإن يكن صديقا، خصوصا وأنه أمريكي. ينبغي لكل إنسان ليس أمريكيا أن يسرق الأمريكي أينما كان.

قال التركي:

– أنا لا أوافقك.

– سواء وافقتني أم لا فإني أؤيد بلال فيما فعله. إن بلال رجل ذكي وعظيم. هو يعرف كيف يعيش. إن رجلا مثله لايموت جوعا بين الأغنياء. إن بلال رائع.

فكرت: إن جنيه يقوم بعملية تفريج عما لم يعد يستطيع أن يفعله.

قال التركي:

– أنا لا أسرق أحدا. لقد اشتغلت مع براين وأعرف بول بوولز ووليام بروز وكثيرين من أصدقاء براين، لكني لم أسرق قط أحدا منهم. إنهم يعطونني هدايا، لكن لا أسرقهم.

سأله جنيه:

– من هو بول بوولز هذا؟

– إنه مثلك يكتب كتبا. (أشار إليّ بأصبعه) اسأل عنه شكري. إنه يترجم له ما يكتبه بالعربية.

سأل جنيه:

– هل هو أمريكي؟

– نعم.

قال جنيه:

– هو أيضا ينبغي أن يسرق إذا كان أمريكيا غنيا.

قال التركي:

– لكنه إنسان طيب لايستحق أن يسرق.

قال جنيه:

–الإنسان الأمريكي الطيب هو الذي ليس غنيا. أنا أعرف جيدا الأمريكيين. أنا أؤيد كل لصوص العالم ضد الأمريكيين الأغنياء.

قال التركي:

– بلال كان يسرق أيضا صديقه براين. ذات يوم كان براين يستحم في منزله. أخذ بلال مفتاح الصندوق حيث يخبيء براين ماله وسرق له عشرين ألف فرنك.

قال جنيه ضاحكا:

– عشرون ألف فقط. كان ينبغي له أن يأخذ أكثر من ذلك. من الأفضل لو أنه سرق له كل ما يملك.

– لكن براين ليس غنيا.

– وإن يكن. ينبغي للإنسان أن يسرق دائما من يملك أكثر منه. إن بلال لص ظريف ورائع.

سألت جنيه:

– وإذا سرقك بلال أو غيره، فماذا سيكون رد فعلك؟

– من الصعب أن يسرقني أحد.

قلت:

– وإذا عرف كيف يسرقك.

– سأتسلى بذلك. إذا سرقني أحد ولم يكن قد خسر بعد كل ما سرقني إياه فسأحاول أن أسترجع منه ما تبقى بنفس المهارة التي يكون قد سرقني بها أو أكثر.

قال التركي:

– الإنسان السارق ليس شريفا.

سأله جنيه:

– لماذا؟

– لأنه لايكون محترما بين الناس.

– أنت إذن تعتبر نفسك محترما بين الناس لأنك لاتسرق.

– نعم.

– وبلال؟

– ليس محترما.

– لكنه يريد ألا يكون محترما. إذن فهو حر. أنا، مثلا، معروف بين الناس لص سابق، ومع ذلك فعندما أمرّ في الشارع أو أكون معهم فلا يهمني أن يحترموني. أنا أحب الإنسان السارق. إننا كلنا سارقون: براين جين سرق موسيقى جهجوكة وباعها للأجانب، نيكسن سرق واستقال، بلال سرق الأمريكي وهرب. أنت ترى، إننا كلنا سراق. إنما هناك اللص الشريف وهو الذي يسرق الأغنياء ويعطي شيئا للفقراء، وهناك اللص الخائن، المجرم، الذي يسرق الفقراء ويقسم ما سرقه مع أمثاله.

قال التركي:

– ما أريد أن أقوله عن بلال هو أنه متزوج وله طفل. من سيعول زوجته وطفله إذا هو سرق ودخل السجن؟

قال جنيه:

– لاتخف على بلال. إنه يعرف كيف يسرق حتى لايدخل السجن. إنه يخاطر. العيش مخاطرة. إذا هو لم يسرق فلن يجد ما يعول به طفله وزوجته ونفسه.

بعد لحظة سأل جنيه التركي:

– قل لي، هل نمت مع رجل عندما كنت غلاما؟

قال التركي ضاحكا:

– أبدا. لقد كنت دائما رجلا في حياتي الجنسية. لم أترك قط أحداً يركب على ظهري.

قال له جنيه ضاحكا بالدارجة:

– أنت كذاب. باين عليك كذاب. لازم أنت عشت في صغرك تنعس مع الرجال. عندك وجه زامل (أمرد داعر).

– أبدا، أنا ديمان عشت رجل حتى في صغري.

بعد لحظة قال جنيه للتركي.

– ما رأيك في اليهود؟

نحنح التركي وقال:

– اليهود مثل كل الناس: فيهم الطيبون وفيهم الخبيثون. لكن اليهودي الحقيقي إذا وعدك يفي بوعده.

– كيف تشرح لي ذلك؟

أشعل التركي سيجارة وقال:

– سأقص عليك ما وقع لي. منذ سنوات لم يكن قد بقي للعيد الكبير سوى ثلاثة أيام. كنت في حاجة إلى أربعين أو خمسين ألف فرنك لشراء الكبش. كنت جالسا في رحبة هذا المقهى بالذات. كان إلى يميني صديق مغربي أعرفه وإلى يساري كان جالسا يهودي أعرفه بالرؤية فقط. طلبت من الصديق المغربي أن يسلف لي ذلك المبلغ. اعتذر لي أنه هو أيضا كان يعاني خصاصا في المال لشراء حاجيات العيد. أنا كنت أعرف أنه يكذب. بعد انصرافه قال لي اليهودي إنه يمكن له أن يسلف لي الخمسين ألف فرنك. كان قد سمع حديثي مع ذلك الصديق. لم أكن أصدق أنه سيأتي في المساء، لكنه جاء وأعطاني الدراهم. أنت ترى، لم يخلف وعده.

قال له جنيه بتهكم:

– لكن وفاء ذلك اليهودي متعلق بك وحدك وليس معي أو مع سواي. إن تصرف اليهودي معك لايمثل أغلبية اليهود. أنا طلبت منك أن تقول لي رأيك في اليهود عموما.

قال التركي:

– أعتقد أن كل يهودي يحترم ديانته فلا بد أن يفي بكلمته، وكذلك كل إنسان متدين.

قال جنيه:

– أنا لا دين لي، ومع ذلك فيمكن لي أن أحترم كلمتي إذا شئت. لا علاقة للدين بالوفاء، الإنسان قد يكون وفيا بدون دين وخائنا وله دين.

وقف أمامنا شاب مغربي وصافحنا. قال:

– سآخذ مكاني معكم.

لم يتكلم أحدنا. جلس. قال التركي:

– أنا أحافظ على إيماني.

قال له جنيه:

– وأنا أحافظ على لا ايماني.

تدخل الشاب:

– لابد للإنسان أن يؤمن بشيء في هذا العالم. العالم أقوى من ألا يؤمن الإنسان فيه بدين ما.

قال له جنيه:

– ماذا تقول؟

قال الشاب:

– أقول ما دام الإنسان يحب ويأمل ويفشل فلا بد له من أن يؤمن بشيء ما ليجد خلاصه.

خرجنا. كان «ح» جالسا في رحبة المقهى. رمى عليه جنيه عقب سيجار بانتير الذي كان يدخنه. نهض «ح» وارتمى على جنيه، شده بعنف وقال له:

– اسمع يا جنيه، سآتي إلى المنزه وأرميك في المسبح. إنك وقح، كلب.

تضاحكا وقال له جنيه:

– تعال إلى هناك وسنرى من سيرمي الآخر. تعال وسترى.

مساء من ٦.٣٠ إلى ٨.٢٥ (مقهى براسو ري دوفرانس)

رأيته، من خلال الزجاج، جالسا مع شاب. أشار لي بيده أن أدخل.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

قدمني إلى الشاب:

– محمد القطراني. صديق.

سألني إن كان قد جدّ شيء حول الصحراء. قلت له:

– هناك مشروع مفاوضات بين الحكومة المغربية والإسبانية. هذا ما سمعت.

قال القطراني:

– لاحظت أنك تهتم بالإسلام وتعرف عنه الكثير.

قال جنيه:

– صحيح. لقد قابلت بعض المسلمين العرب وتحدثوا لي عن تاريخهم وديانتهم.

طلب مني القلم ورسم تخطيطا للكعبة. وضع حرفا لكل اتجاه.

سأل الشاب:

– أين يوجد الحجر الأسود؟

تأمل الشاب الرسم وقال:

– لاأدري.

قال جنيه، واضعا رأس القلم جهة الشرق:

– الحجر الأسود يوجد هنا، قبلة المشرق.

ثم أشار بسهمين إلى جهة اليمين وقال:

– اليمن سميت بهذا الإسم لأنها توجد يمين الكعبة، (وبالسهم الثاني أشار إلى الشام) . الكعبة كانت قبل الإسلام طاولة للاتجاهات الأربعة (مِزْولة) .

سأل جنيه الشاب:

– وقبل الإسلام كيف كان العرب يطوفون بالكعبة؟

قال القطراني:

– من اليمين إلى اليسار.

قال جنيه:

– كلاّ، من اليسار إلى اليمين، ثم جاء محمد وجعلهم يطوفون من اليمين إلى اليسار.

سأل القطراني:

– لماذا؟

قال جنيه:

– لأنه أراد أن يغير لهم عادات عبادتهم.

قال القطراني:

– تعرف كل هذا عن الإسلام ولا تسلم. ضع الله في قلبك.

قال جنيه:

– سأضع نفسي في قلب الله.

وتأمل الشاب رسم الكعبة وقال:

حَمُّورابي أراد هدم الكعبة، لكن الله أرسل طيرا وأخذ يرجم جيشه بالحجارة فلم يستطع أن يقترب منها. (أضاف مؤكدا على جنيه:) هل تعرف حمورابي؟

قال جنيه؟

– كل من درس التاريخ القديم يعرف من هو حمورابي. طبعا أعرف من هو حمورابي.

قال جنيه بعد لحظة:

– إن الناس هنا لم يعودوا متعصبين للدين. حتى الشيوخ منهم. عندما كنت هنا سنة ٦٩. ذهبت إلى تطوان.

جلست في أحد مقاهي «الفدان». كان يجلس قربي شيخ يلبس الجلباب. نظرنا إلى بعضنا البعض وتبادلنا تحية صامتة. كنا في نفس السن تقريبا. كلمته بالدارجة المغربية. سرّه ذلك. تحدثنا عن المدينة وأشياء أخرى.

ذات لحظة سألني:

– هل أنت مؤمن بالله؟

– كلا. أنا كافر. إنني أومن بكفري. أعتذر لك إن كنت أعترف بكفري وأنا جالس قربك. قال:

– ولماذا لا. أنت حرّ. نحن بشر. كل واحد منا يحق له أن يؤمن بما يشاء أو لا يؤمن بشيء على الإطلاق.

(صمت). في شنغيط دعاني حفيد ماء العينين إلى جلسة خاصة في زاويتهم. كانوا خمسة أو ستة. خلعوا أحذيتهم. حينما أردت أن أفعل مثلهم رجاني مضيفي ألاّ أفعل إذا أنا شئت. بقيت بحذائي. تحدثنا عن أشياء كثيرة.

من جملة المواضيع التي تحدثنا عنها الإيمان والإلحاد. احتدّ النقاش بيني وبين شقيق حفيد ماء العينين حول الخلافات الموجودة بين الإسلام والمسيحية. قلت لهم:

– لقد مرّ عشرون قرنا على وجود الديانة المسيحية وأربعة عشر قرنا على تأسيس الديانة الإسلامية. أريقت خلالها دماء وما زالت الخلافات قائمة إلى اليوم. إذا كان الأمر هكذا، فكيف تريدون أيها السادة أن

نجد حلا لهذه الخلافات، في هذه الساعة التي نجتمع فيها هنا. إنني لا أمثل أية ديانة حتى أدافع عنها.

قال حفيد ماء العينين:

– صحيح. معك الحق.

كان لطيفا ومثقفا. يتكلم بطلاقة الفرنسية هو وأخوه. الحاضرون الآخرون كانوا يتكلمون أيضا فرنسية جيدة.

بعد لحظة سألته:

– والفلسطينيون كم بقيت معهم؟

– في المرة الأولى بقيت ستة أشهر، وفي المرة الثانية ثلاثة أشهر.

سألته:

– كيف كنت تشعر وأنت بينهم؟

– كنت أشعر أني واحد منهم. كان ياسر عرفات يقبلني ثلاث مرات على خديّ، وكنت أفعل مثله معي. كنت آكل ما يأكلون وأنام في خيمة مثلهم.

– ألم تشارك في أحد الهجومات؟

كلا. كنت الأكثر سنا بينهم. أعطوني سلاحا. كنت ابتهج بطلقاته في الهواء، لكن هذا لايعني أنني لم أكن معرضا للخطر في حالة الهجوم عليهم.

قال له القطراني:

– ماذا ذهبت تفعل معهم هناك إن كنت لم تهاجم بسلاحك ضد العدو؟

قال:

– الحقيقة أنني كذبت. لقد قتلت كثيرا من العرب.

قال القطراني بانفعال:

–صحيح ما تقول؟ قتلت عربا وكنت معهم؟

– نعم. كنت مع العرب ضد العرب.

– كيف ذلك؟

– كنت أقتل الجنود الأردنيين.

ضحكنا ثم استعاد القطراني هدوءه.

بعد لحظة سأله القطراني:

– هل تعرف سيدنا عيسى؟

– لا أعرفه.

قال القطراني بدهشة.

– كيف لا تعرفه.

– سمعت عنه فقط، لكني لا أعرفه شخصيا.

– وموسى؟

– أيضا سمعت عنه.

– أقصد من منهما أفضل في رأيك.

– لا هذا ولا ذاك.

– لايمكن.

– كيف لايمكن؟

– لابد أنك تفضل ديانة أحدهما دون الأخرى.

– لقد قلت لك إنني كافر. وإذا كنت أنت تقدس ديانتك الإسلامية فأنا أيضا أقدس الحادي. إن هذا لايمنعنا نحن الثلاثة الآن

من أن نعيش كبشر مؤمنين أو ملحدين.

قال القطراني:

– إن من لايؤمن لا يعيش إلا على هذه الأرض.

– وهل هناك مكان آخر للعيش؟

– نعم، الجنة.

– لا أريد أن أذهب إليها.

– إن الله سيعاقبك.

– ليفعل بي ما يشاء إذا كان موجودا.

بعد لحظة سأله القطراني:

– لماذا لم تتزوج؟

– ولماذا أتزوج؟

– لكي تجد من يهتم بك.

– إنني أهتمّ بنفسي

– ليس الأمر سواء.

– اسمع، كنت ذات يوم في ميدلتْ. تعرفت إلى شاب كان متزوجا منذ شهرين. ألقى عليّ نفس السؤال عن الزواج. حين أجبته أنني لم أكن في حاجة إلى زواج قال:

– ومن يغسل لك ملابسك؟

أجبته:

– آلة الغسيل.

أفهمته أن الإنسان لايتزوج من أجل غسل ثيابه، وطبخ الأكل وفعل الجنس. اعترف لي أنه لم يتزوج إلا من أجل هذه الأشياء. قلت له

www.mlazna.com-RAYAHEEN

إني لست في حاجة إلى الزواج من آلة غسيل ومطبخ وفراش. كان أيضا ميالاً إلى اللواط رغم أنه كان يتحدث لي عن جمال النساء.

قلت لجنيه:

– يوجد هنا في طنجة مجنون يحتك من الأمام بمؤخرة إحدى السيارات ثم يستحم في تلك النافورة. إنه لايشقي نفسه كثيرا. يبيع الورد متجولاً في المطاعم منذ ربع قرن. ياكل الورد مع الخمر اعتقادا منه أن الورد يطهره.

١٢-٨-١٩٧٤

قابلته في البولفار حوالي الخامسة مساء مع القطراني. كانا يتجولان ببطء.

حوالي التاسعة ليلا دخلا قاعة شاي مدام بورط. كنت جالسا مع قحبة مغربية. مكثا حوالي ربع ساعة ثم خرجا دون أن يشربا شيئا. أعتقد أن النادلة تأخرت في خدمتهما. كانت القاعة غاصة بالزبائن والحرارة خانقة. ثياب جنيه متسخة ولحيته غير حليقة، لكنه يبدو مسرورا مع القطراني.

١٣-٨-١٩٧٤

(في مقهى براسوري دوفرانس، من ٨ مساء إلى ٩.٣٠)

كان صحبة القطراني. قلت له:

– لقد كان هنا صمويل بيكيت صحبة سيدة عجوز.

– أهي زوجته سوزان؟

– لا أدري؟

– ربما هي.

وصديقك سارتر، هل رأيته مؤخرا؟

– لم يعد سارتر صديقي بسبب موقفه المعادي للفلسطينيين وكل العرب بلا استثناء.

– هل تنوي أن تنشر قريبا مذكراتك عن الفلسطينيين؟

– الكتاب جاهز تقريبا، لكن يلزمني تنقيح مسودته جيدا. سأشتغل فيه عندما أعود إلى فرنسا.

سيسافر غدا إلى الرباط ليتابع عن قرب أخبار مؤتمر القمة السابع العربي.

١٤-٨-١٩٧٤

(في مقهى براسوري دوفرانس من ٦.٣٠ إلى حوالي ٩.٣٠ ليلا)

تبادلنا إشارة تحية عبر الزجاج. دخلت. عرض عليّ أن أجلس. سألته:

– ألم تسافر إلى الرباط؟

– لم أجد مكانا لي في الطائرة. غدا بالتأكيد.

بعد لحظة سألني:

– قل لي، كيف يذكر المغاربة اليوم المارشال ليوطي؟

– يذكرونه استعماريا خدم بلاده في المغرب رغم أنه حاول أن يلطف الاستعمار الفرنسي للمغرب حين قال في هذا المعنى: «إن حماية دولة لدولة أخرى لايعني أن يكون حكم الدولة الحامية

مباشرا».

– هل هو معروف بين عامة الناس في المغرب؟

– طبعا. حتى الأميون يعرفونه ويروون بعض القصص التي يقال أنها حدثت له مع المواطنين المغاربة. في وجدة، مثلا، يحكى أنه كان هناك مواطن مغربي معروف بوطنيته وشخصيته المرموقة في الإدارة المغربية. وعندما دخلت الحماية الفرنسية إلى المغرب رفض أن يتعامل معها فاستقال من وظيفته. نفوه لفترة من مدينته ثم سمحوا له أن يعود إليها. كان من عادته أن يجلس قدام منزله. وحين زار ليوطي وجدة علم أنه سيمر من نفس الطريق الذي يوجد فيه منزله. قرر أن يظل جالسا حتى عند مرور ليوطي أمامه. وعندما وصل الموكب قدام منزله وأجبروه على الوقوف نهض غاضبا ودخل منزله مصفقا الباب وراءه. يقال أن ليوطي رآه فأمر أن يمثل أمامه. ولدى مثوله قال له ليوطي:

– إني أقدر الرجال أمثالك.

بعد لحظة قال:

في عام ١٩٢٨ ذهبت إلى سوريا للخدمة العسكرية. كان أول شيء لاحظته هو حديث الناس هناك عن عظمة الجنرال جورو (بذل مجهودا ليتذكر اسمه) ذي الذراع المبتورة. كان هذا الجنرال هو الذي قنبل دمشق. حين رأيت الخرائب في كل مكان امحت صورة عظمته من ذهني.

– كم دامت خدمتك العسكرية؟

– أحد عشر شهرا، المدة كانت اثني عشر شهرا. لكني أخذت

رخصا متقطعة كانت مدتها شهرا.

– أين تعلمت بعض مبادئ القراءة والكتابة بالعربية؟

– في سوريا. ذات يوم نودي في ثكنتنا عمن يرغب في تعلم اللغة العربية. كنت الوحيد الذي تقدم من ثكنتنا. كانت الدروس تعطى في الخامسة صباحا. كان علينا أن نخرج من الثكنة في السادسة صباحا للقيام بالتدريبات العسكرية. كنت أنهض من النوم في الرابعة صباحا. كانت مدة الدرس تستغرق ساعة. هكذا اكتسبت كثيرا من الأصدقاء السوريين.

– هل زرت سوريا حديثا؟

– عدة مرات. إن لي هناك أصدقاء. من بينهم الجنرال الغازي الذي يستضيفني كلما ذهبت إلى هناك.

سأله القطراني:

– ماذا تشتغل الآن؟

– من قبل كنت أسرق واليوم أكتب الكتب.

– تؤلف الكتب؟

– نعم.

ضحك القطراني ناظرا إليّ ثم سألني بالدارجة:

– هل ما يقوله صحيح؟

– نعم. له عدة كتب.

– لايبدو عليه أنه يؤلف الكتب.

ثم قال لجنيه:

– لم أكن أعرف أنك كاتب. كان ينبغي لك أن تقول لي هذا من

قبل.

التفت إليه جنيه باسما:

– ولماذا كان يجب علي أن أقول لك أنني كاتب.

– لأنه ينبغي أن أعرف أنك كاتب.

– لكن هذا لايقال هكذا. لابدّ من سبب لأقول لك أني كاتب.

– أنت تقول أنك كنت تسرق فكيف يعقل أن تصير كاتبا!

– لقد كتبت بعض الكتب في السجن فأطلقوا سراحي بسبب هذه الكتب.

لايبدو على القطراني أنه يصدق ما يقوله له جنيه. ظل منبهرا. أيصدق أم هو مجرد مزاح؟

قال له القطراني:

– يبدو عليك أنك عانيت كثيرا. لكني أعتقد أنني عانيت أكثر منك.

– كم عمرك؟

– خمسة وعشرون عاما.

– كم قضيت في البحرية المغربية؟

– حوالي خمس سنوات.

– هل لك أب وأم؟

– نعم.

– أنا لا أب ولا أم لي. أنا طفل مهجور.

(تذكرت قصيدة بودلير عن الغريب وجنيه يسأله).

– هل دخلت السجن؟

– كلا.

– أنا قضيت فيه سبع سنوات.

– هل تسولت؟

– كلاّ.

– أنا فعلت ذلك لفترة من حياتي وكنت أنام في الشوارع أو تحت القناطر.

كتبت له يومية اللص بالفرنسية وقلت له:

– اقرأ كتابه هذا. سيعجبك كثيرا إذا بذلت مجهودا لفهمه.

تأمل القطراني الورقة وسأله:

– عما يتحدث كتابك هذا؟

– أتحدث فيه عن حياتي البائسة: كيف كنت أسرق وكيف كنت أنام مع الرجال من أجل العيش وأشياء أخرى.

بعد لحظة سأله القطراني:

– هل ما زلت تكتب؟

– كلا.

– لماذا؟

– لم يعد لدي ما أقوله.

– حاول أن تكتب كتابا عن الفلسطينيين الذين عشت معهم.

– هذا المشروع سأحاول أن أحققه عندما أعود إلى فرنسا. عندي أوراق كثيرة كتبتها عندما كنت أعيش معهم.

أعدت على جنيه سؤالا كنت قد ألقيته عليه منذ سنوات:

– ألم تسمح بعد لدار جاليمار أن تصدر كتبك في طبعة الجيب؟

– كلا.

– لماذا؟

– لاأريد أن أرى كتبي تباع في الأكشاك مثل الصحف وأوراق اليانصيب.

لم أرد أن أناقشه في هذا الموضوع حتى لا أزعجه.

١٤-١٠-١٩٧٤

(مقهى باريس من ٧.٣٠ إلى٩ مساء)

لحق بي محمد القطراني راكضا:

– بحثنا عنك البارحة.

جنيه يبدو مرحا. سألني بعد أن تصافحنا وجلست:

– ماذا تفعل؟

– كالعادة، أقرأ وأحاول أن أكتب قصصا جديدة. وأنتما؟

– كنا في فاس. أقمنا في فندق المرينيين. موقع الفندق رائع، لكن كان على مهندسه أن يجعله أجمل مما هو.

سألته:

– هل تحدثتما مع أناس هناك؟

– ليس كثيرا. خدم الفندق كانوا لطفاء معنا. لم نكن نخرج إلا قليلا إلى المدينة القديمة. في الفندق تقدم إلى معرفتي شخص ذو أبهة. لست أدري من هو السخيف الذي دله على إسمي. لم يكن يفقه شيئا ومع ذلك فقد كان متبجحا بنفسه بشكل مزعج. كان بعض المغاربة في الفندق يبجلونه بتحياتهم والخدم يحيونه حتى تكاد أن تحاذي

جباههم ركبهم. رأسه محشو بالخرافات والغيبيات.

– ومن هو؟

– قال لي أحد الخدم إنه شخص مهم، ولكنه لم يكشف عن هويته. لقد كدت أموت ذات ليلة في الفندق. إن الأومليت التي أكلتها سببت لي تسمما ومغصا فظيعا. أعتقد أنها صنعت من بيض فاسد أو أي شيء آخر. وفي «المنزل» (قرية القطراني) استعدت قواي. كان شيخ هذه القرية ودودا جدا معي. كل ما كنت أتمنى، لو أنني مت هناك، هو أن يدفنوني في القرية. لكني أعتقد أنهم ما كانوا سيفعلون لأنني نصراني كافر.

قال القطراني ضاحكا:

– ليس صحيحا. لقد أخبرت كل من سألني عنك هناك أنك تحب العرب، وأنك كنت مع الفلسطينيين في مخيماتهم، وتكتب عنهم كتابا ستنشره في فرنسا.

قال جنيه:

– هذا صحيح. ولي كثير من الأصدقاء الفدائيين.

بعد لحظة قلت لجنيه:

– لقد كان هنا مؤخرا صمويل بيكيت صحبة زوجته. في الفترة الأخيرة صار يزور طنجة كثيرا. أهديت له الكتيب الذي كتبته عن يومياتي معك في طنجة. (المذكرات المنشورة بالإنجليزية من ترجمة بول بوولز إلى حدود ٦٩).

– قل لي ماهي علاقة براين جيسن ببول بوولز؟

– إنهما صديقان قديمان في طنجة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فرك جنيه رأس القطراني.

– وأنت، ماذا تقول؟

– أنا لم أفهم شيئا مما تتحدثان عنه الآن.

ضحك جنيه قائلا:

– برافو! ينبغي لك ألاّ تفهم شيئا إذا لم يكن هناك ما ينبغي فهمه.

كان القطراني مزكوما. قال له جنيه عندما رآه يسعل:

– إنك مزكوم ومع ذلك فأنت لاتكف عن تدخين الكيف وشرب البيرة الباردة. (أضاف:) وأنا أيضا أخذت نصيبي من زكامك وإن كان خفيفا.

ثم التفت إليّ وقال:

– أتدري، إن القطراني صار دائي ودوائي.

ابتسم القطراني وقال لي بالدارجة:

– إنه غريب الأطوار، لكنه جد طيب. ما رأيت رجلا مثله.

سأل جنيه بمرح:

– ماذا يقول لك عني؟ إنني لم أفهم جيدا ما قاله.

قلت له مازحا:

– يقول إنك أيضا داؤه ودواؤه.

قال جنيه:

– أتمنى ذلك. حينئذ سنتبادل الداء والدواء بالتساوي. أتمنى أن يداوي أحدنا الآخر عندما يعديني أو أعديه بالزكام.

بعد لحظة صمت سألني جنيه:

– قل لي، هل ما زالت هنا الرشوة للحصول على جواز سفر في أقرب

وقت ممكن لمحمد؟

– لم يعد الأمر سهلا كما من قبل.

– أريد له جواز سفر بأي ثمن. أنا ذاهب إلى باريس للحصول على بعض المال وتسوية بعض الأمور هناك ثم أعود. لن أتأخر أكثر من خمسة أو ستة أيام. لابد لي من تتبع مؤتمر الرباط عن قرب.

سألته:

– هل ما زلت عازما على حضور مؤتمر المسرح العربي الذي سيعقد في العراق كما قلت لي؟

– طبعا. هذا إذا لم يعقني المرض أو أيّ أمر آخر يمنعني من الحضور. لقد وجهوا لي دعوة رسمية.

* * *

كتبت مذكراتي مع جان جنيه بتاريخ متسلسل كما التقيت به ثم لم أعد أكتبها لأني شعرت أنه لم يكن راضيا عن الاستمرار في كتابتها.

لقد عاد، مرات عديدة، وحده أو صحبة القطراني (توفي في حادث سيارة بعد وفاة جنيه) إلى طنجة بشكل عابر، لأنه صار يقيم في العرائش بعد ما اشترى للقطراني منزلا هناك، ثم شجعه على الزواج حتى يتخلص من عشرة القحاب كما قال لي جنيه.

في الثالث عشر من فبراير عام ٨٠ سافرت إلى باريس لأقدم «الخبز الحافي» في برنامج لابوستروف. كان جنيه قد اكترى شقة ذات غرفة واحدة في بيجال، هو الذي تعوّد الإقامة في الفنادق الكبيرة أو الصغيرة. استقبلنا، الطاهر بنجلون وأنا، عند الباب حافيا. تعانقنا قائلا لي:

– إنك كتبت كتابا جيدا.

كل أثاث الغرفة سرير لشخص واحد، كتب في ركن على الأرض، تيلفون فوق طاولة صغيرة ومنفضة جنب السرير، وسجادة صغيرة لمن يريد الجلوس. لم يكن هناك مقعد. رائحة البول تنبعث من الحمام، نافذة الغرفة مقفلة لأن جنيه مزكوم. استلقى على فراشه الصغير والطاهر وأنا جلسنا على السجادة.

عندما خرجنا قال لي الطاهر: «إن جنيه لايكاد يخرج إلا لشراء الصحف والمجلات والبسكويت والموز لأنه يعاني من آلام أسنانه، وإذا ذهب إلى مطعم يكون طعامه خفيفاً». كانت تلك هي المرة الوحيدة التي رأيته فيها في باريس. وكان الطاهر يزوره باستمرار.

أنجب القطراني ابنه عزالدين وتبناه جنيه ثم أدخله إلى مدرسة داخلية في الرباط. وظل جنيه يشرف على تربيته حتى وفاته في ١٥–١٩٨٦–٤. قيل لي أن أنيس بلافريج هو المشرف الآن على تربيته في قسمه الداخلي، حسب وعد أعطاه لجنيه.

في الرباط كان جنيه قد تصادق مع محمد برادة وزوجته ليلى شهيد. كانا يستضيفانه في منزلهما للغداء لأن جنيه، خاصة في سنواته الأخيرة، كان ينام باكرا. ذات مرة أقام عندهما، هو الذي يرفض إطلاقا أن يقيم عند أحد، عشرة أيام.

كان السرطان ينهش حنجرته ويخنقه، ومع ذلك فلم يتخل عن تدخين سجائر جيتان. كان صوته ضعيفا ومبحوحا عندما قابلته في قاعة الفندق الملكي بالرباط صحبة القطراني وابنه عز الدين.

زرت قبره ثلاث مرات، في إحداها صحبة بعض الصحافيين

الفرنسيين ليأخذوا صورا. لم ألتق القطراني سوى في المرة الأخيرة. أخبرني أنه أعار بعض رسائل جنيه إلى أستاذ في كلية الآداب بمراكش لأنه كان يحضر دراسة عنه.

– وهل أعادها لك؟

– ليس بعد.

شعر القطراني بندم كبير عندما لمته عما فعل. اقترحت عليه أن يبيع رسائل جنيه، على الأقل، إلى إحدى الجامعات في الغرب لتبقى محفوظة إذا لم يكن يعرف كيف يحتفظ بها هو. قال بانفعال :

– أبدا لن أفعل شيئا من هذا ما بقيت حيا. إن أشياء جنيه أعز عندي من كل أموال الدنيا كلها.

– لكن يجب عليك أن تكف عن إعارتها إلى أيّ كان. هناك كثير من الكذابين ولصوص النصوص النصابين. إن جنيه كان سيغضب إلى حد الخصام معك لو أنه حيّ.

– هذه الغلطة لن تتكرر أبدا في حياتي. إني أعتذر لجان المسكين.

لقد أردت مراراً أن أقول للقطراني أن يكفّ عن نعت جنيه بالمسكنة، لأنه عاش دائما معتزا بنفسه، ومات دون أن يستجدي حتى القدر نفسه لمواجهة موته، لكنني أدرك أن جان المسكين تعني عند القطراني جان الطيب. إن كل من يعرف القطراني وعلاقته مع جنيه يدرك أنه كان يحبه الى حد العبادة، ولذلك فهو يرتكب بعض الهفوات عندما يقابل من يبدي إعجابه بجنيه فيسترسل في حكي كل ذكرياته معه أو يعيره شيئا ما يخصهما.

«لقد زارني في العرائش، ثم زرنا ولدي عز الدين في الرباط، وبعد

ذلك عاد إلى باريس ليموت في فندق صغير مختنقا. مات المسكين وحيدا هناك».

لقد شاع في الصحافة، بعد وفاة جنيه، أنه طلب، رغبة منه، أن يدفن في العرائش. وحسبما قال لي القطراني نفسه أن هذا ليس صحيحا. إن جنيه قال للقطراني ولجاكي (صديقه الآخر الذي تبناه): «يمكن أن أدفن في أيّ مكان آخر إلاّ العرائش». لكن قدر لجنيه أن يدفن في مقبرة إسبانية قديمة أكثر المدفونين فيها عساكر في الجيش الإسباني، وهي قريبة من بناء كان ثكنة عسكرية إسبانية. وعندما سألت القطراني عن سبب دفنه في العرائش قال:

– إن جاكي[1] هو الذي اتخذ هذا القرار في آخر لحظة. ربما فعل ذلك حتى يكون قبر جنيه قريبا منا أنا وابني عز الدين. ثم إن جاكي نفسه يزورنا باستمرار. لقد حمل لي مُؤَخّراً المال من عائدات حقوق نشر كتب جان الذي جعله وصياً عنها. إننا نقتسم العائدات.

في المرة التي زرت فيها قبر جنيه صحبة القطراني قال لي:

– إنني أزور قبره ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع. أجلس هنا، وحدي أو مع عز الدين، عندما يكون في عطلة مدرسية، وأتأمل البحر مستعيدا ذكرياتي مع جان، في المغرب أو خارجه. عندما يكون معي جان أنسى كل شيء ما عداه. إنه يملأ حياتي بأجمل ما أحب أن أعيشه. أما اليوم فقد تركني وحدي. لا أعتقد أني سأعثر على صديق مثله. إن الحقيقة التي كنت أعيشها معه قد انتهت إلى الأبد. إن جاكي أيضا يحس بنفس الفراغ. إنه لم يعد يرسم شيئا. لقد فقد حياته التي

(١) صديق حميم لجنيه

كان يستمد قوتها من جان. أنا وجاكي نعرف القليل عن الحياة، أما جان فقد كان يعرف جيدا الكثير، وقد علّمنا بعض الأشياء من هذا الكثير.

في مساء السادس من أبريل ١٩٨٧ كان لي موعد مع جورج بوسكي مدير المركز الثقافي الفرنسي في طنجة ومساعده دانييل لوران للعشاء في مطعم الدورادو. كنت أنتظرهما في حانة خوانا دي أركو قرب المطعم. فجأة، ونحن خارجون، انبثق أمامنا القطراني قائلا:

– كنت أعرف أني سأجدك إما في الدورادو أو في خوانا دي أركو كعادتك كل مساء. أعرف أنك لا تدخل إلى منزلك إلا في آخر الليل.

قدمته إلى جورج ودانييل. رحّبَا به بحرارة عندما علما أنه صديق جنيه.

أثناء العشاء، راح القطراني يجيب عن بعض الأسئلة التي ألقاها عليه جورج ودانييل حول صداقته مع جنيه. وتحت حماس الإعجاب الذي لمسه منا نحو جنيه استرسل في سرد ذكرياته معه. كان يتحدث عنه بصيغة الحاضر.

كنت مدعوا في اليوم التالي، على الساعة الخامسة مساء، صحبة جورج، إلى اللقاء الثقافي الذي نظمه المركز الثقافي لفاس ومكناس. كان موضوعي هو الحديث عن ذكرياتي مع جنيه في طنجة، وكان جورج بوسكي سيتحدث عن جنيه وعني كتقديم لحديثي عن جنيه.

لدى خروجنا من الدورادو استضاف جورج القطراني ليبيت عنده. وكان القطراني قد وافق على أن يصحبنا إلى مكناس، لكن في الصباح، ونحن في محطة القطار، غير رأيه، لقد قرر، في آخر لحظة، أن ينزل في

www.mlazna.com-RAYAHEEN

أصيلة ثم يتابع سفره إلى العرائش في إحدى سيارات السفر الجماعي. وبينما كنا نقترب من أصيلة ألححنا عليه أن يصحبنا لكي يستمع إلى ما سيقال عن جنيه. كان جوابه مضطربا وهو يقول:

– إني راغب في صحبتكما لولا أن الوقت غير مناسب في هذه الظروف. شيء ما يحفزني للدخول إلى العرائش. زراني متى تشاءان في العرائش. أنا غالبا لا أسافر كثيرا خاصة بعد وفاة جان.

توقف القطار فودعنا باضطراب وحزن. شيعنا بيده والقطار يقلع. رأيناه خافضا رأسه وهو ماش ببطء غير ملتفت إلى شيء. إنه في منتهى حزنه.

أثناء سفرنا حدثني جورج عن ليلة القطراني في منزله. «بعد أن دخلنا طلب مباشرة أن يشرب شيئا فأعطيته زجاجة نبيذ. راح يشرب من فمها مثل بحار قديم وهو مستلق على الكنبة. ظل الليلة كلها يهذي باسم جنيه. أعتقد أن موت جنيه خرب عقله إلى الأبد. من الصعب أن يبدأ حياته. إنه يحس نفسه ميتا وهو حي. «إنها مأساة ولكن من يستطيعُ إنقاذه من هوسه عن جنيه».

تينسي وليامز في طنجة

تقديم

ان كتاب شكري يصف لقاء من الصنف الثالث. فحينما علم أن تينسي وليامز قد شوهد في طنجة، في صيف ١٩٧٣، قرر شكري فوراً أن يَتَحرَّى الزائر الأمريكي المشهور (قبل سنوات، فعل نفس الشيء مع جان جنيه، لكن المسافة التي كانت تفصلهما كانت أقل، لأن المغاربة والفرنسيين كانوا قد بدأوا يتعارفون من بداية هذا القرن). في ذلك الصيف، كان شكري كاتبا شابا وكهلاً معا، ٣٨ سنة، حيث كتب منذ فترة قصة حياته الرائعة من أجل الخبز وحده FOR BREAD ALONE التي ترجمها بول بوولز P. Bouwles الى الانجليزية، يحكي فيها عن طفولة ومراهقة زاخرتين باليأس، والقذارة، والفاقة، وبعد ذلك، الطريقة التي تعلم بها (بدأ يَدْرُسُ في العشرين من عمره) القراءة والكتابة، وهكذا صاغ مستقبله الخاص ليصبح كاتبا وأستاذا. انه من الضروري، مع ذلك، اعتبار المسافة الموجودة بين شكري وتينسي، ومهما يكن فقد هَذَّبَ شكري نفسه بعناد. وهو لم يسافر إلاّ قليلا، وبالنسبة اليه وباقي المغاربة، فان أمريكا مازالت تعتبر نوعا من الأرض المجهولة، أسطورية كما كانت بالنسبة للمهاجرين الأوروبيين الأوائل. كان هناك حاجز لغوي – شكري يحسن الاسبانية، ويتكلم فرنسية مقبولة، فضلا عن العربية، أما انجليزيته (كما هي اسبانية وفرنسية تينسي) فهي ابتدائية. وكلاهما يملك مزاجا مناقضا في مظهرين هامين. ان دعابة تينسي فجائية ومتفجرة، ودعابة شكري

خفية وممتنعة. شكري يبحث عن النقاش الأدبي، مثال ذلك: (كدتُ أقول إن ألما وينميللر هي حفيدة هستربراين) ؛ وتينسي يفضل تجنبه.

اضافة الى كل هذا فإنه ينبغي مراعاة تناقضات أكثر بداهة: أحدهما من طبقة كادحة مسلمة، والآخر من طبقة متوسطة أمريكية جنوبية، ميولهما الجنسية مختلفة، أحدهما نسبيا مجهول، بينما الآخر جدٌّ مشهور، وسَيُفْهَمُ أن امكانيات التواصل بينهما كادت أن تكون باطلة تماما.

حينما يقال ان المضادات تتجاذب، فربما ما يراد التعبير عنه هو أن المشابهات تنبع رغم الاختلافات. ان شكري مثلما هو تينسي كلاهما هارب من ماضيه، كلاهما غير مكترث بكل شيء وكلاهما متوحد.

(حينما أمر في سيارتي عبر بولفار باستور، شارع طنجة الفخم، كنت أرى مرارا شكري وحيدا، نحيفا، ملامحه حادة، متجولا أو جالسا في مقهى، دائما معه عُرْمَةٌ من الكتب) .

كان شكري في ذلك الصيف يملك احساسا بالفكاهة، لكنه أكيد أن تينسي لم يكن أكثر حماسة منه. كان قد وصل الى طنجة مع الرفيق غير اللائق، وعدم اللياقة تلك يحكي عنها شكري بشكل ممتع. (كما لو أنه – أي باكْسه – مثل تمثال الملاك في صيف ودخان) . كان تينسي قلقا من أجل انهاء مسرحيته: THE DEVIL BATTERY SIGN كان في منتهى توتره بعدما قاطع اقامته في ايطاليا، مثلما سيقاطع اقامته في طنجة. في البداية، هَدَّدَت هذه الإقامة بأنها ستكون احدى الزيارات المرتجلة التي لا يتم فيها شيء جيد، وربما أشياء كثيرة تمت بخير، لكن اللقاءات مع شكري كان فيها نوع من التوفيق غير المنتظر. طبعا،

ان الاعجاب الذي مارسه شكري هو الذي أثار تينسي، وخلق فيه فضولا شخصيا.

لقد سمح شكري لنفسه أن يوعز لتينسي بالتخلي عن رفيقه غير اللائق (على الأقل، بين حين وآخر) وأبان عن استعداده لكي يكون مثالا جيد اللطف مع غريبي الأطوار. ومهما يكن، فقد تلاءما، والنتيجة هي هذه السلسلة الفورية اللامعة الشفوية، دون وقفات واسترخائية في آن واحد، لكنها دقيقة. في البداية يظهر أن شكري وقع في مكيدة الاعجاب بقدرة تينسي على الضحك في ظروف مختلفة. قال له: "ان كتبك، خاصة مسرحياتك، محزنة" لكنك دائما تبدو مرحا.

ان تينسي (وهو على حق) ينفي أن تكون كتبه محزنة، ويضيف: "الحزن يمكن أن يكون مفرحا، وأحيانا الفرح يمكن أن يكون محزنا. ليس كل حزن مُحْبِطاً، كما أنه ليس كل فرح يسلي". على كل فان شكري يدرك أنه "من الممكن نسيان حالة التعب والضجر بفضل الضحك". وبعد أن كان قد فكر أن شخصية تينسي "لا تشبه كتاباته" يغير رأيه فيما يبدو. ان هذا المتوحد يدرك أيضا أن "تينسي يحب الوحدة، لكنه يخاف أن يكون وحيداً. ويتوصل تينسي الى جواب جدير بالذكر بالنسبة للنقاد: "انهم يسوطون جلدنا، لكننا نتعلم كيف نجدد جلدنا". في النهاية، نشأ ودّ "خالص بين الاثنين، ويؤثر فينا هذا الود لأنه يتعلق دون شك بشيء عابر". "قد نلتقي"، هكذا يقول تينسي وهو يعانق شكري، لحظات قبل أن يقلع شراعه. "وقد لا نلتقي أبدا".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

معظم لقاءاتهما لم تكن متوقعة بل صدفة: في الشارع، في المقهى، في شقة بول بوولز، لكن انطباعات شكري فيها تماسك عجيب. ومثل معظم المغاربة، فانه قاص فطري، ان اللون المحلي والأشخاص الثانويين (الحياة في مقاهي طنجة، الشقة الفظيعة التي يعرضها أحدهم على تينسي تجربة جارحة صادمة في مكتب البريد) انها أوصاف مكتوبة بدقة حيث يبدو أنها مصادفة، واذا كانت حكاية شكري حول عبور تينسي في طنجة الذي دام ثلاثة أسابيع، خلال الصيف، قد أعطت أثرها، فذلك أن الأمر يتعلق بمجموعة من اللحظات، بسلسلة من المقاطع التي تظهر كيف تنشأ الظرافة من الفضول. "ان الطريقة التي يعبر بها تينسي تروق لي"، هكذا يقول شكري ذات لحظة. انه بالغ الصدق فيما يقول، وأجود من هذا الكيفية التي يُبَلِّغُ بها إلينا.

جانين لا مبرت

تينسي وليامز في طنجة

١٦-٧-١٩٧٣

زرت بول بوولز Paul Bowles في منزله. قال لي بالاسبانية:

– تينسي سيكون هنا يوم الأحد.

– أخيراً يعود إلى طنجة.

كانت سنة ٦٤ آخر مرة زار خلالها طنجة. كنت أشرب الشاي الأسود بالليمون. فكرت: لقد مضى وقت طويل لم أشرب فيه خمرا في شقة بول. الفودكا هي آخر ما شربته عنده. كان صديق له أمريكي سائح في باخرة روسية قد حمل اليه بعض الزجاجات. كنت أشرب منها يوميا حتى السكر أثناء ترجمتنا لسيرتي الذاتية "من أجل الخبز وحده"[1]. لم يعد بول يشرب منذ عشرين عاما، ونادرا مايقدم الخمر لأصدقائه وضيوفه لكن قيل أنه يخفي دائماً زجاجة ويسكي يقدمها في الوقت المناسب. فكرت أن تينسي مازال يشرب فلا بد اذن من أن يشتري بول بعض الزجاجات.

– لم أمكث طويلا. كان لي موعد مع محمد زفزاف في مقهى مانيلا.

وجدت زفزاف يشرب البيرة ويلامس بأصابعه شعيرات لحيته الخفية ويمسّد شعر رأسه الغزير المنفوش. قلت له:

– تينسي وليامز سيكون هنا يوم الأحد. هذا ما قال لي بول بوولز. لقد جئت من عنده الآن.

---

١) الخبز الحافي.

– انه موجود اليوم هنا. لقد قابلته منذ لحظات في مرسم أحمد اليعقوبي[1]. كان مصحوباً بشاب أمريكي أو انجليزي. كان معي شاب مغربي يدرس الرسم في بولونيا[2].

– غريب. (أضفت:) ما هو الانطباع الذي أخذته عن تينسي؟

ابتسم وقال:

يبدو لي أنه يخشى الغرباء، لكن ملامحه تكشف عن أنه ينجذب اليهم بعد أن يألفهم. كان يلبس سُتْرة جميلة ونظيفة. انه ليس من هؤلاء الكتاب الذين يهملون هندامهم. صديقه الشاب كان يحمل آلة تصوير فخمة. كان تينسي يبدو مرحا. لقد جعلته بعض حركات اليعقوبي يقهقه بصوت صاخب.

– واليعقوبي كيف تصرف معكما، أنت وصديقك؟

– أعتقد أنه لم يكن راغبا في بقائنا معه بعد أو وصل تينسي. اليعقوبي هو الذي دعانا هذا الصباح في مقهى باريس لنزور محترفه. أنا لا ألومه. ان سلوكه بدائي.

بدا لي زفزاف مثل شبح في الليل: بشرته ذات سمرة خفيفة وكل ثيابه سوداء. قلت له مازحا:

– ألم تخفه بمنظرك هذا؟ انك تبدو مثل شيطان بلحيتك المدببة وشعرك الذي يشبه عش نسر.

قال ساخرا:

– لقد أثرتُ اهتمامه. رأيته ينظر اليّ باعجاب وإن لم نتبادل غير

١) ولد عام ١٩٣١ وتوفي في أمريكا عام ١٩٨٥.

٢) عز الدين الدويب.

كلمات. لو لم يستعجل اليعقوبي خروجنا، أنا وصديقي، لصرنا صديقين. لقد بدا لي أن اليعقوبي كان يريد أن يستأثر بتينسي وهذا من حقه، لكن لا بد أن تقابله أنت عند صديقك بوولز.

صبّ البيرة الباردة في كأسه. فاض حبيبها على خشب المشرب. قطرات تتساقط من قاع كأسه وهو يشرب. ابيضّ شاربه. لحسه بلسانه ثم مسحه بيده وقال:

– ان البيرة لذيذة في النهار والنبيذ لذيذ في الليل. هذا ما نصحتني به "ميرا".

– من هي ميرا؟

– ألا تعرفها بعد؟

– لا.

– ستعرفها ذات يوم. سيصل "الجو ماري" غدا أو بعد غد من الدار البيضاء ليعرفك بها.

– ان هدوءك زائف. انك تبدو لي دائما مثل مجرم خَطر أو لص كبير!

قهقهنا. هذه هي عادتنا عندما نتقابل. لا حزن ولا شكوى.

– حاول أن تكون صديقا لتينسي كي تكتب عنه كتابا كما فعلت مع جان جنيه Jean Genet.

– سأحاول. ان حياته أيضا مثيرة.

طلبنا مزيداً من البيرة. كنت أعرف أننا سنظل نشرب ونتحدث عن مشاريعنا الأدبية حتى الثالثة أو الرابعة صباحا. وأحياناً حتى تطلع

الشمس، وفاطي[1] هي التي تنقذنا في الشراب.

١٧-٧-١٩٧٣

يوم جدُّ حار. العاشرة والنصف صباحا. جلست في رحبة مقهى باريس. رأيته جالسا يقرأ صحيفة انجليزية. جنبه الشاب الذي تحدث عنه زفزاف يحمل نفس آلة التصوير الفخمة. نظرت الى صورته على غلاف مسرحيته "قطة فوق سطح صفيح ساخن". تأملته طويلا. مازال في نظراته حلمه الرومانسي القديم. صورته هذه في الأربعينات. هو الآن في الستينات وأنا أجتاز عمره في صورة كتابه هذا. هو ولد في ٢٦ مارس وأنا في ٢٥ مارس. بيننا مزاج يوم واحد. هل أفاجئه كما فعلت مع جنيه في السوق الداخلي؟ هو يكتب وأنا أكتب. هو مشهور وأنا لست مشهورا. هذا هو الفرق. ان اللص المبتديء الجديد، عادة، يقدم نفسه للص الماهر القديم. لقد مارست بعض الأعمال التي مارسها هو في أعوام فقره وأنا في أعوام بؤسي.

وضع لهما النادل زجاجتي كوكاكولا ثم صَبَّ في كأس تينسي شراب فرني برانكا.

شربته مرة فلم يعجبني. يستعمل نظارة سميكة لقراءة صحيفته. ينتقل من صفحة الى أخرى بسرعة كمن يقرأ العناوين.

بعد حوالي نصف ساعة نهضا. يلبس بذلة صيفية نيلية اللون وحذاء من القماش. مرّا قدامي. يمشي بخفة. صديقه يبدو كمن يلاحقه في مشيته. هو يتأبط صحيفته وصديقه يحمل محفظة

١) ساقية في حانة الأندلس.

صغيرة. فكرت: ان لعبة التعارف الانساني ستبدأ الآن. إما صداقة وإما عداوة.

رأيت اليعقوبي يقترب منهما. لعبة التعرف الانساني صارت أقل صعوبة. اليعقوبي ليس صديقي، لكني أعرفه. لقد سبق لي أن أبديت له إعجابي ببعض رسومه. سرت خلفهم. قدام مقهى مانيلا صرت على بعد خطوات منهم. التفت اليعقوبي. رآني. توقف وقال لي:

– مرحبا. هذه فرصة سعيدة.

صافحني ثم قدمني الى تينسي وصديقه باكسه BOXER. قال لتينسي:

– كاتب مغربي.

قال لي اليعقوبي:

– تينسي يفتش عن فيللا ليُقضّي فيها عطلته. أيمكنك مساعدتنا؟ لا بد أنك تعرف أفضل مني في هذا الشأن. انك تعيش باستمرار في طنجة.

مشينا في الطرقات نبحث عن وكالات الكراء. فكرت في أقربها منا. أريته مسرحيته "قطة على نار" المترجمة الى العربية بهذا العنوان. قال:

– بالعربية أيضا.

– ألا تعرف هذا؟

– سمعت فقط، لكن هذه أول مرة أرى نسخة من كتبي بالعربية.

ثم أضاف ضاحكا ضحكته الأولى الصاخبة:

– كتب كثيرة، غلمان كثيرون.

قدام قاعة شاي مدام بورط سألني اليعقوبي:

www.mlazna.com-RAYAHEEN

– هل الوكالة التي نقصدها بعيدة من هنا؟

– انها قريبة. في طريق موسى بن نصير.

قال تينسي:

– لنستقل تاكسي.

قلت له:

– المسافة من هنا الى الوكالة التي نقصدها لا تتطلب التاكسي.

ضحك من جديد. لست أدري ماذا أضحكه. فكرت: إما أن يكون متعبا أو هو يكره المشي تحت هذه الشمس التي يثقل لهيبها هذا الهواء الساكن.

في الوكالة شرحت للفتاة المغربية المكلفة ما نريده. قالت لنا إن هناك عدة شقق. اتصلتْ هاتفيا بوكالة أخرى. كنت واقفا. استرخى تينسي وصديقه باكسه على كرسيين. استأذن منا اليعقوبي ليذهب الى مكان ما في نفس الشارع. قلت لتينسي إن بول بوولز صديقي وإنه ترجم لي الى الانجليزية سيرتي الذاتية ومذكراتي مع جان جنيه في طنجة وقصصا قصيرة. أبدى اهتمامه لقراءة مذكراتي عن جنيه. وعدته أن أعير له القسم الأول من الكتاب الذي نُشِرَ في مجلة أنتيوس. ANTEAUS تطلع اليّ فاحصا اياي وسألني:

– أين يوجد الآن جنيه؟

– لا أدري. لا أحد، ممن يهتمون به هنا، يعرف أين يوجد. ربما موجود مع منظمة سياسية مثل "الفهود السود".

ضحك ثم قال:

– أنا أقدر كتاباته رغم أنه غامض. ان خياله رائع. لا أدري ان كان

مازال يكتب أم لا؟

– ما أظن. لم يكتب شيئا منذ سنوات ما عدا بعض المقالات والتصريح ببعض الآراء السياسية في الاستجوابات التي يجرونها معه.

– أعرف هذا، انما أقصد الكتب.

– قال لي، عندما كان هنا، انه قد وضع نفسه في مقبرة الأدب.

(ضحك، ظل صديقه باكسه جامدا). لم يعد يرغب في قول، أدبياً، شيئاً أكثر مما قاله. هكذا قال لي هنا. ان رأيه في الأدب متشائم، خاصة عن المسرح.

عندما بلغنا الوكالة الثانية وجدنا المكلف الاسباني واقفا لدى عتبة الباب ينتظرنا. قال لنا إنه أرسل الى الوكالة التي كنا فيها، مع عونه الاسباني، مفاتيح ثلاث شقق شاغرة لنختار واحدة منها في طريق كيفيدو Quevedo. بدا الضيق على وجه تينسي. دعانا الرجل الاسباني الى الدخول ريثما يعود عونه. بقي اليعقوبي مع باكسه خارج الوكالة ودخلت مع تينسي. أثاث المكتب مغبّر وقذر. تينسي جلس على مقعد قبالة امرأتين مغربيتين بائستين تنتظران شيئا. طفل احداهما ينظر الينا بعينين مشدوهتين. لم أجد أيّ شيء أجلس عليه. ظللنا صامتين. المكلف الاسباني يخرج الى الباب بين حين وآخر ليرقب عودة مساعده. انشغلت برؤية خريطة قديمة تخطيطية عن شوارع طنجة ومقاطعاتها. سمعنا صياح المكلف يقول لعونه الشيخ لدى الباب:

– أسرع يا أنطونيو. ان السلحفاة تمشي أسرع منك.

قال لنا:

– ها هو الرجل الذي سيصحبكم قد عاد.

أفاق تينسي من شروده. سألت المكلف:

– كم هو ثمن الشقة تقريبا؟

– هناك ثلاث شقق. ثمنها واحد: مائتا دولار في الشهر للشقة الواحدة.

– سنرى. المهم هو أن تكون شقة مريحة.

من جديد مشينا في هواء ساكن، لكن في شمس بلا ظلّ هذه المرة. كانت بعض الظلال بعيدة عنا. الانزعاج بادٍ على وجه تينسي. مشيٌ بلا أيّ عمود من ظل في شارع قد لا تمرّ منه سيارة أجرة إلاّ بعد نصف ساعة أو أكثر.

للعمارة الكبيرة جناحان. لكل جناح باب. دخلنا الجناح الأول. استقبلنا بواب مغربي في الردهة.

قال:

– المصعد لا يعمل اليوم. إنه منعطب.

قال تينسي، عندما شرحت له ما قاله البواب:

– أووه! كلا. حتى المصعد معطل. لنذهب.

كان المصعد قديما. فكرت: ان تينسي عامل المصعد سابقا، أيام فقره، يعرف جيداً الضيق الذي يعانيه رجل في الستين يرقى حوالي مائة درجة كلما انعطب المصعد. قال لنا العون الاسباني:

– لنذهب الى الجناح الاخر. هناك شقتان.

في هذه المرة كنا نخرج من ظل ونمشي في ظل. لم يكن لهذا الجناح مصعد. قال لنا العون إن الشقة التي يعتقد أنها ستروقنا توجد في الطابق الثاني. صعدت معه واليعقوبي خلفنا. تينسي وباكسه بقيا في

الأسفل. سمعت تينسي يضحك. أطللت من الطابق الأول خلال الفراغ الى أسفل. صحت:

– مستر تينسي، اصعد.

ضحك ثم صاح:

– لكن في أيّ طابق تقع هذه الشقة؟ يا الهي.

رأيته واقفا ينظر متردداً في الصعود الى فوق بعينين ضاحكتين. قلت له:

– مستر تينسي، اصعد. قد نعثر هنا على شقة جيدة.

باكسه لا يضحك ولا يعبس. فكرت: مزاجه لا يكاد يتأثر بشيء. انه كتمثال الملاك في "صيف ودخان". ترمومتر مزاجه منعطب مثل مصعد جناح العمارة الأخرى، أما تينسي فعندما يمرح ينسى تعبه وضيقه.

كل الشقة غرفة كبيرة فيها سريران كبيران متقابلان. مشى الشيخ الاسباني الى مكان السرير الأول. فتح المصراعين الخشبيين ساحباً إياهما على سكة حديدية. قال:

– هذه غرفة نوم وتلك أخرى.

نوافذ الغرفة الثلاث تطل على شارع كيفيدو. في الجهة الأخرى من الشقة شرفة صغيرة تحتوي على حوض للغسيل تشرف على أرض جرداء. أطل تينسي على الأرض المليئة بالأحجار والأزبال. قال:

– أوه! لا. ليست هذه هي الشقة التي يمكن لي فيها العمل.

خرجنا من الشقة. سمعت الشيخ يقول لي بالاسبانية:

– لا يريدونها؟ ألا تعجبهم هذه الشقة؟ هناك شقة أخرى.

كان صوته مبحوحا، فيه شيء من الرجاء. قلت له:

– المعذرة على هذا الازعاج. ان هذا السيد (أشرت الى تينسي) يريد شقة فخمة. شقة رائعة جدا. انه مستعد أن يدفع ثمنها اذا وجدها.

قال بصوت خائب:

– لا نملك شقة أفخم من هذه.

من جديد مشينا قليلا ثم وقفنا تحت شمس بلا ظل في انتظار مرور تاكسي ليحمل تينسي وصديقه باسكه الى فندق المنزه.

مرت ثلاث أو أربع سيارات أجرة محجوزة. كان تينسي كلما رأى احداها عن بعد يرفع يده نحوها ويقول:

– هاهي ذي واحدة.

كنت أقول له في كل مرة:

– ولكنها مشغولة.

قلت لهم:

– ان أحسن مكان نستطيع أن نوقف فيه "تاكسي" هو مفترق الطرق قرب البريد المركزي.

مشينا في الشمس والظل. توقفنا قدام مركز البريد. أوقفنا سيارة أجرة كبيرة. ركب تينسي بسرعة يتبعه صديقه باكسه. أقلعت السيارة. لوح لنا تينسي بايماءة من يده وبسمة الارتياح تغمر وجهه. كان باكسه يبدو الى جانبه مثل تمثال "الخلود" في "صيف ودخان". لا تقرأ الكلمات على قاعدته إلاّ باللمس. سألني اليعقوبي:

– ماذا ستعمل الآن؟

قلت له ناظراً الى السراب على مدى الطريق المزفت :

– أنا عطشان وجائع.

قال باسما:

– انني أدعوك الى تناول ازلافة[1] من البيصر.

في سوق "فندق الشجرة"، دخلنا مطعما مختصا في بيع البيصر. كان غاصا بالبائسين. طلبنا طاستين من البيصر بزيت الزيتون وخبز القمح. قال الخادم، الذي بدا لي أنه يعرف اليعقوبي:

– ليس عندنا خبز القمح الخالص.

طلب مني اليعقوبي أن أذهب وأشتري خبزة من القمح الخالص. كانت دكاكين بيع الخبز قبالة المطعم. ذهبت واشتريت خبزة من أقرب دكان. عدت متأملا تلك الخبزة في يدي. رأيت اليعقوبي أيضا ينظر اليها من بعيد. أعطيتها له وقلت:

– بائع الخبز قال لي إنها من القمح الخالص.

شطرها وشمها وذاق طعمها. قال باسما:

– كلا. ليست هذه الخبزة من القمح الخالص. لقد غشك ذلك البائع. انها خبزة مغشوشة. أنا أعرف جيدا خبز الطحين الخالص من القمح. حرام على الخبازين أن يغشوا في الخبز. ان من يغش في نعمة الله يصيبه الخسران.

كنت أبتسم وأوافقه على كلّ ما يقوله. ما كان يهمني هو أن آكل لا أن أناقشه في الخبز الخالص أو المغشوش. الخبز الخالص والخبز المغشوش أليست هذه تفاهة أخرى مثل تفاهة انتظار مرور سيارة أجرة؟ أعطاني

---

١) طاس.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

نصف الخبزة وأخذنا نأكل. وضعت قليلا من مسحوق الفلفل الحار في البيصر الساخنة. أحسست بالحرارة الكاوية في فمي والاختناق في حلقي. سعلت بقوة. كان على الطاولة ابريق ماء من القصدير يشرب منه الأشخاص الثلاثة الذين يشاركوننا الطاولة. قمت وطلبت من الخادم فنجانين فارغين. ملأتهما بالماء من الحنفية ساعلا باستمرار. قال لي اليعقوبي:

– سيكون من الأفضل لو أنك لا تشرب الماء مع البيصر. ان مفعولها يكون أقوى بدون ماء.

لم أستطع أن أعمل بنصيحته ولا أن أناقشه أيضا في شرب الماء مع البيصر. ما كان يهمني هو ألا أسعل. راح يشرح لي فوائد البيصر للجسم كله خاصة مفعولها على المعدة والأمعاء والأعصاب. لكي أقول شيئا سألته عن سرّ تقطير "نقطتين" من الدم في طبخة الدجاج التي وصفها في كتابه عن بعض أنواع الطبخ المغربي. ابتسم وقال:

–آ! ذلك سرّ أحتفظ به. لقد سألني مثل هذه الأسئلة كثير من أصدقائي في أمريكا، لكني لم أكن أجيب أحدا عنها. انني أدع كل واحد يعتقد ما يشاء في هذا السرّ. اذا بحت به ضاعت حكمة نقطتي الدم من طبخة الدجاج.

– وهل عرفت أحدا شخصياً جرح نفسه وقطر "النقطتين" اللتين تلح على أن تكونا من دم الانسان؟

– كثيرون فعلوا ذلك أمامي وأكلت معهم من نفس الطبخة.

فكرت: أتمنى لو لم يكن للانسان أمعاء وغدد.

صحبته الى مرسمه. على المسند لوحة لم ينهها بعد. وقفت أمامها

أتأملها. اقترب مني بسرعة وقال بلطف:

– لا. أرجوك ألا تنظر اليها. أنا لا أحب أن ينظر أحد الى رسومي قبل أن أنجزها. انظر الى اللوحات الاخرى الجاهزة.

اعتذرت له مبتسما. ألقيت نظرة خاطفة على اللوحات الجاهزة المعلقة على الحائط حتى لا يقول لي: "لا تتأملها طويلا. اتركها حتى تراها في أحد معارضي".

نزل الى القبو ثم صعد بسرعة حاملا معه قميصين.

– تقبلهما مني هدية لك. انهما صيفيان.

فكرت: ربما ما دعاه أن يعطيني اياهما هو قميصي هذا الذي لا يلائم الصيف.

وضع في الحاكي اسطوانة لعلي أكبر خان. أخرج من درج خزانة حزمة من الرسائل وأراني صور المناظر الطبيعية التي كان يرسلها له تينسي منذ سنوات من روما. بعضها مكتوب بالآلة الكاتبة وأخرى بخط اليد. اختار احداها وطلب مني أن أقرأها جهرا. قال لي إن تينسي كان صديقا حميما له في تلك الفترة رغم أنه لم يكن سهل العشرة مع الناس. سألته:

– أو لم يعد اليوم صديقا حميما لك كما كان من قبل؟

– ليس الأمر كذلك. انه مازال صديقا طيبا معي، ولم يعد صعب العشرة حتى مع الأصدقاء الجدد. صداقتنا اليوم تختلف. يصعب عليّ أن أشرح لك. (أشعل سيجارة فرجينيا) نحن مازلنا صديقين، لكن بشكل مختلف عن الماضي. ربما لأننا لم نعد نتقابل إلاّ مصادفة هنا أو في الولايات المتحدة.

أراني رسالة قديمة لتيموثي ليري ورسالة أخرى جديدة كتبها له من سجنه بواسطة محاميه. قرأتهما له. كانت الرسالة الثانية جدّ مؤثرة عن قضية سجنه وسراحه الذي ينتظره. أطلعني على صورة لابنته من زوجته الأمريكية. قلت له:

– لقد كبرت.

– ايه، نعم، البنات يكبرن بسرعة أكثر من الفتيان!

١٨-٧-١٩٧٣

كنت جالسا مع أحمد اليعقوبي في سطيحة مقهى باريس. الشمس دوختني. كنا قبالة القنصلية الفرنسية. قلت له:

– ألن نذهب بعد لنرى تينسي؟

نظر اليّ باسما ثم قال:

– انني أنتظر غروب الشمس. دائما أجلس في هذا المكان لأشاهد الشمس تغيب وراء بناية هذه القنصلية.

ابتسمت وسألته:

– لكن لماذا في هذا المكان بالذات؟

– ذلك سرّ لا يعلمه إلاّ الله.

– وأنت، ألا تعلمه؟

نظر اليّ وقال ضاحكا:

– هيا نذهب عند تينسي.

التقينا تينسي خارجا من متجر قرب المنزه. صافحنا بمرح وضحكة قوية.

عندما وصلنا مقهى باريس قال اليعقوبي، مشيراً الى رجل مغربي داخل المقهى:

– ها هو ذا هنالك.

شرح لتينسي أن ذلك السيد الجالس في المقهى صديق له وسيرشدنا الى صاحب نيبلا في "الجبل الكبير" مؤثثة ولها مسبح وحديقة. أطلق تينسي ضحكته الكبيرة وقال:

– فيلا ذات مسبح خاص وحديقة. هذا ما أريده. هذا ما أريده.

دخلنا الى المقهى. قدم اليعقوبي تينسي الى صديقه الوقور، الأنيق. كنت أعرف ذلك الرجل بالرؤية منذ سنين. لم يجد صعوبة في التفاهم مع تينسي بالانجليزية والفرنسية. أثناء الحديث عن الفيلا كان تينسي يوافق بانشراح على كل الشروط المادية للحصول على تلك الفيلا الجبلية. لم يبق للرجل ولتينسي ما يقوله أحدهما للآخر. تباسما مرتين أو ثلاثا دون أن يقولا شيئا. أخرج اليعقوبي رسالة كان سيرسلها الى "لا ماما"[1] وطلب من تينسي أن يكتب لها تحيته من طنجة صحبته. كنت ألتفت الى الشارع المكتظ بالسياح الذين زاروا هذه المدينة في هذا العام أكثر من المألوف. قرأ تينسي بصوت خفيض ما كتبه الى "لا ماما" ثم أطلق ضحكته الصاخبة. سألت اليعقوبي عما كتبه لها تينسي. ابتسم وقال:

– هل يهمك أن تعرف؟

قلت بخبث:

– ان مزاج تينسي المرح يوقظ فيّ بعض الفرح. ثم ربما سأكتبه في

١) صاحبة مسرح صغير في نيويورك.

مذكراتي.

من جديد ابتسم وقال:

– كتب لها: "أنا رجل قذر وعجوز، أرجو منك أن تعرضي لي احدى مسرحياتي في مسرحك".

ودعنا صديق اليعقوبي وخرجنا. كان تينسي يريد شراء طاقية من المطاط للسباحة. سرنا في البولفار من متجر الى آخر نفتش عن طاقية تروقه. كان كل متجر يعرض علينا طاقيات للنساء. لم يكف تينسي عن الضحك على تلك الأنواع من الطاقيات النسوية المطاطية. في متجر قدم له صاحبه عدة أشكال. كانت احداها بشعر مستعار شبيه بصوف خروف.

أمسكها تينسي واستغرق ضاحكا في صخب، مردداً بعد كل مرة يستعيد فيها أنفاسه:

– رائع أن يلبس الواحد هذه الطاقية ويذهب ليجلس في مقهى باريس.

أنا واليعقوبي لم نعرف أيضا كيف نكف عن الضحك. فكرت: لم أر كاتبا في مثل مرح تينسي. مع ذلك هو الذي كتب "صيف ودخان" و"قطة فوق سطح صفيح ساخن".

اشترى طاقية زرقاء صالحة للرجال والنساء. كان يريدها بيضاء. كانت واحدة هناك لكنها ذات حراشيف وهو يريدها ملساء. دفع خمسة عشر درهما قائلا لصاحب المتجر:

– ان ثمن هذه الطاقيات غالية عندكم هنا. هذه لا تساوي ثلاثة دولارات حتى في أمريكا.

عندما خرجنا سألني تينسي عن مكان مدام بورط. كنت أعرف أنه كان يحب ذلك المكان في زياراته السابقة. كان مكانه المفضل مع جين بوولز. يبدو هذه المرة كما لو أنه لم يزر طنجة من قبل.

أثناء طريقنا الى قاعة الشاي أرَيته "قطة على صفيح ساخن" المترجمة الى العربية:

– "قطة على نار"، هذا هو العنوان المختصر بالعربية لمسرحيتك. ما رأيك فيه؟

– المهم هو أن يكون هناك في المسرحية من يشعر أنه مثل قطة فوق سطح صفيح ساخن.

فكرت: لا شك أنه يحب الأشياء الساخنة والأشياء الحلوة. فكرت أن أقول له أنه من أجل ذلك يحب أن يضع لكتبه عناوين ساخنة وحلوة وشفافة: "صيف ودخان"، "طائر الشباب الحلو"، "فجأة في الصيف الماضي"، "لقد أثرت عواطفي"، الحيوانات الزجاجية"...

سألته:

– هل يهمك أن تشاهد احدى مسرحياتك تمثل بالعربية؟

– لا أدري. لم أفكر بعد في ذلك. لا أعرف كيف تمثل بعض مسرحياتي بلغات أخرى. لا شك أنهم اذا كانوا يعرضونها على المسارح العربية فانهم سيمثلونها كما يريدون هم وليس كما أريد أنا، لذلك فان حضوري وغيابي سيان.

دخلنا قاعة مدام بورط. قال تينسي:

– لقد اشتقت الى هذا المكان.

جلسنا قرب نافذة مفتوحة تطل على طريق موسى بن نصير وجويا

www.mlazna.com-RAYAHEEN

Goya. استنشق تينسي نسيم المساء وتنهد:

– أووه! انه رائع أن يجلس الواحد في هذه القاعة.

قال اليعقوبي:

إنها أحسن قاعة شاي في طنجة كلها.

قال تينسي بصوت حزين:

– أحب هذا المكان كثيرا. جين بوولز[1] أيضا كانت تفضل المجيء الى هنا.

سادت لحظة صمت حول طاولتنا. رأيت عينيه خلف نظارته الشمسية نصف مغمضتين. ربما هو يحلم بشيء جديد أو يسترجع ذكرياته هنا أو في أي مكان آخر. انه يستمتع بهذا الاسترخاء. ربما يفكر في جين بوولز بالذات. كانت لها روح مرحة. اندهشت حين قرأت روايتها: "امرأتان رصينتان". ان مثل هذا الحوار لا يمكن أن تكتبه إلاّ كاتبة جيدة في سنّ العشرين: تهيأتْ كريستينا للرقص وقالت لصديقتها ماري:

– الآن لا تفارقيني أبدا بعينيك. سأنفذ رقصة عبادة الشمس. بعد ذلك سأبرهن لك على أنني أفضل أن أرى إلهاً بدون شمس على أن أرى الشمس بدون إله. هل تفهمين؟

قالت ماري:

– نعم، ستفعلين ذلك فوراً.

– نعم، وهنا بالذات.

جاءت خادمة مغربية شابة ونفخت في سكوتنا بعض الحركات.

١) زوجة بول بوولز: في الرابع من ماي على الساعة ٩ مساء ١٩٧٣ توفيت في مستوصف سان ميجيل بمالقة San Miguel.

طلب اليعقوبي شاياً أسود. أنا طلبت قهوة بالحليب وتينسي طلب شاياً أسود وكأسا من الروم الأبيض. فكرت: انه مايزال يحب ينبوع الذكريات (خزانة الشراب) مثل بريك في قطة على نار. لست أدري اذا كان ما يزال يشرب حتى الويسكي. كان بوولز قد حكى لي أنه كان صحبة تينسي وبعض الأصدقاء خلال زيارته سنة ٦١ في هذه القاعة. تينسي كان ثملا. سقط هو ومقعده الى الخلف مُحدثاً دوياً أثار انتباه كل الذين كانوا في القاعة. هرعت اليهم مدام بورط وسألتهم:

– من هو هذا السيد؟ لقد رأيت صوره في عدة جرائد ومجلات، لكنني لم أعد أذكر اسمه. قال لها بوولز:

– انه السيد تينسي وليامز.

قالت:

– آ! انه هو اذن. لا يدهشني أن يحدث له هذا.

تركوه هناك منبطحا أرضا على قفاه حتى نهض وحده وجلس ضاحكا بصخب. كان صديقه فرانك مرلو غاضبا جدا عليه.

تذوق تينسي طعم الروم أولاً ثم صبّ الشاي في الفنجان. فكرت: انه مازال يفضل الروم على الشاي. قال لليعقوبي بمزاح:

– هل عثرت على بعض الفتيات الجميلات في طنجة بعد عودتك من أمريكا؟

قال اليعقوبي ضاحكا:

– واحدة فقط. لقد عثرت عليها بمشقة. انها مغربية تتابع دراستها في الولايات المتحدة.

قال تينسي باسما:

– ألا تكفيك واحدة؟

– كلا. (ثم أضاف:) قد تكفيني واحدة، لكني أريد أن أختارها من بين عشرات الفتيات الجميلات.

قلت لتينسي مازحا:

– ان ما يريده اليعقوبي هو حريم كامل.

تعالت ضحكاتنا. قال تينسي:

– أنا يكفيني غلام جميل. غلام واحد يأتي بدون صعوبة العثور عليه. لم يعد لي الوقت للبحث عن الغلمان.

ضحك بصخب. قلت له:

– أنت لا تحب اذن حريم الغلمان؟

قال ضاحكا:

– كلا. ان الحريم دائما متعب. لم يعد مسليا.

قال لليعقوبي:

– اسمع يا اليعقوبي، لابد أن تفتش لي عن غلام جميل. غلام واحد لي ولك أنت كل الحريم من الفتيات الجميلات. في فندق نيردان، منذ سنوات، كان هناك غلمان رائعون. (اضاف ضاحكا:) لا بد أن غلمانا آخرين رائعين قد حلوا مكان الذين لم يعودوا غلمانا.

فكرت: وما زالت الدعارة هنا تبدأ في الرابعة أو الخامسة كما يقول الأب لابنه بريك في قطة على نار.

سألني اليعقوبي:

– أين يوجد هذا الفندق؟

– لم يعد موجودا. ان صاحبه صار غنياً وقبض عليه في المدة الأخيرة

بتهمة ارتكاب عدة جرائم جنسية. انني أهتم فقط بفنادق العاهرات.

قال له تينسي مداعباً كتفه:

– لابد أن تبحث لي عن غلام جميل. تذكر هذا. غلام واحد فقط، وأتمنى لك أنت حريماً كل فتياته جميلات.

ضحك اليعقوبي ضحكة مقتضبة ولم يقل شيئا. أريت لتينسي كتاب اللامنتمي مترجما الى العربية.

– هل قرأت شيئا لكولن ويلسن؟

– نعم. قرأت له اللامنتمي. انه كاتب جيد. هل ترجموا له كتبا أخرى الى العربية؟

– ترجموا له كل كتبه تقريبا، حسبما أعلم. انه يحظى باعجاب كبير في العالم العربي.

– هذا رائع.

تناول اليعقوبي الكتاب بين يديه وسألني:

– هل يعرف هذا الكاتب أن كتبه ترجمت الى العربية؟

– طبعا يعرف. لقد قرأت أن مترجمين عربيين يشتركان معا في ترجمة بعض كتبه يتصلان به في انجلترا. أعلنا مرة في مقدمة أحد كتبه المترجم الى العربية ان صديقهما كولن مسرور بأن يرى كتبه تترجم الى العربية.

قال اليعقوبي، بينما تينسي يتابع حديثنا بالانجليزية باهتمام وعيناه باسمتان:

– ولا شك أنه يتقاضى حقوق مؤلفاته المترجمة الى العربية.

– ممكن. لكني لا أعلم شيئا أكيداً عن هذه العملية.

قال بحماس:

– أعتقد أنه يتقاضى مالاً ما دام يعرف أن كتبه تترجم إلى العربية.

قال لتينسي:

– لماذا لا تكتب أنت الى دور النشر التي نشرت كتبك بالعربية وتطالب المسؤولين عنها بحقوقك؟

ضحك تينسي وقال:

– أنا؟ كلا. ان ذلك متعب. ليس عندي الوقت. أرجو فقط أن يعطوني غلاماً جميلاً وجَمَلاً أركبه. (أضاف:) عندي أيضا بعض الحقوق في روسيا وفي بعض البلدان الأروبية الاشتراكية، لكني لا أكتب للناشرين ولا أذهب الى هناك.

قلت له:

– كذلك قال لي جنيه عندما كان هنا عن حقوقه في البلدان الاشتراكية.

قال:

– لا أعرف أين هو الآن! متى كان هنا آخر مرة؟

– في نهاية اكتوبر ١٩٦٩.

– كيف كان يعيش هنا؟

– كان متعبا وحزينا. أحيانا كان يفارقه تعبه وينسى حزنه، لكنه لم يكن يستطيع قط أن يطير كما كان يفعل في الماضي. ان نيمبوطال أشل جناحيه. من المحتمل أنه يرى رؤى جميلة، غير أنه لا يستطيع أن يتحدث عنها.

– أنا أيضا أتناول نيمبوطال، لكني أتناول قرصا واحدا فقط لأنام.

– أنت أيضا كنت منذ سنوات مريضا جدا بسبب كثرة تعاطيك المنومات وكميات كبيرة من الكحول.

نظر اليّ بعينيه المفتوحتين على سعتيهما ولم يقل شيئا. كنت أنتظر أن يجيبني، على الأقل، ببسمة أو ضحكة كعادته. أعتقد أنَّ تذكره تلك الأيام المرعبة من المرض، الذي كاد يقتله، يرعبه.

سأله اليعقوبي عن بول بوولز وصديقه محمد المرابط (اليعقوبي[1] صديق لبول منذ أكثر من ربع قرن. زوجته جين هي التي علمته مباديء الرسم. سافر معه الى أقصى بقاع العالم. عاش معه فترة في "سيلان" – سري لانكا اليوم– حيث اشترى بول هناك جزيرة مازال يملكها الى اليوم، لكنه لا يستطيع أن يبيعها ويخرج ماله من هناك بعد أن تغير نظام الحكم. اليعقوبي لم يعد يزوره عندما يعود من اغترابه الى طنجة بسبب وجود محمد المرابط، الذي لا يتفاهم معه، في منزل بول باستمرار.) تحدث تينسي عن صداقته القديمة لبول ثم تكلم عن المرابط الذي عرفه في كاليفورنيا عندما زار أمريكا صحبة بول.

قلت لتنسي:

– غدا سأعطيك عدد مجلة أنطيوس ANTEAUS الذي نشر فيه الفصل الأول من سيرتي الذاتية ترجمه بول.

– هل يدفع لك دانيال هالبرن مالاً عما تنشره في مجلته؟

– كلا. لم يدفع لي حتى الآن شيئا عما أنشره في مجلته سوى ثلاثمائة دولار عن كتاب "جان جنيه في طنجة".

---

١) قدمه بول بوولز لفرانسيس بابكن الذي عاش في طنجة فترة، واشتغل عنده اليعقوبي طباخاً وعلمه بعض أسرار مزج الألوان.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

– أنا أيضا لا يدفع لي شيئا. ان احدى قصصي التي نشرتُها في مجلته بعتها لمجلة أخرى بثمن جيد.

أطلق ضحكة كبيرة. لا حظت أن ضحكاته تضفي عليه مظهر الصحة والمرح. فكرت: انه يعرف كيف يسعد نفسه. لا ينتظر أحدا كي يسعده. انه في الستين، لكنه يبدو أقل من الخمسين.

قال له اليعقوبي:

– ان محمد المرابط داهية وينبغي لك أن تحذر منه.

قال له تينسي:

– من؟ المرابط؟ أوه، كلا: انه شاب لطيف وشجاع. أنا أحبه كثيرا.

ثم سألني تينسي:

– هل أنت طالب؟

– كيف أكون طالبا وعمري ثمان وثلاثون عاما. إنني أشتغل في التعليم.

فحصني وقال:

– لا يبدو عليك أنك في الثامنة والثلاثين.

– ربما لأني عرفت كيف أعيش.

تأملني من جديد دون أن يقول شيئا. نظر الى ساعته. كانت الثامنة إلاّ ربعا. قال:

– أعتقد أنني سأنصرف.

نادى على الخادمة ذات العينين الأسيويتين الجميلتين وطلب منها الحساب. أخرج أوراقا مالية من الدرهم مدعوكة. وضع فوق الطاولة ورقة خمسين درهما. قال له اليعقوبي:

– ان هذه الورقة تساوي حوالي عشرة دولارات.

قال تينسي ضاحكا:

– وهل يمكن أن تجلب غلاما جميلا؟

في طريقنا الى فندق المنزه اشترى عددا من هيرالد تريبون Tribune New York Herald. قال عن ذلك العدد الأخير الذي وصل:

– من المستحيل أن يشتري الواحد هنا مجلات وصحفاً في أوانها. ان هذا العدد صدر منذ أيام.

ثم سأل اليعقوبي:

– والسوق الداخلي، كيف هو اليوم؟ أما زال كما كان؟

قال اليعقوبي:

– انه أخطر مما كان. مليء بالمتشردين والداعرين واللصوص:

قال تينسي:

– يالهي! ان العالم يزداد سوء.

أضاف اليعقوبي:

– سأصحبك الى هناك لنشرب الشاي المغربي بالنعنع عندما تريد أن تزوره.

فكرت: ان اليعقوبي يبالغ. انه من كثرة ما عاش في أمريكا صارت له نفس مخاوف بعض الأجانب الذين يخشون زيارة المغرب بسبب التهويل الذي أشاعه بعض البلهاء الذين عاشوا هنا تجارب سيئة.

– لاأعتقد أن السوق الداخلي خَطِرٌ الى هذا الحد الذي تتصوره.

نظر اليّ بانزعاج وقال:

– أأنت أحمق أم ماذا؟ لا يمكن أن يذهب تينسي وحده الى هناك.

انهم سيزعجونه. لا بد أن نصحبه معا أو أحدنا على الأقل حتى نبعد عنه هؤلاء السوقيين[1]. انهم يلتصقون بالأجانب مثل الغِراء.

– آ. فهمت الآن ما تعنيه. ذلك شيء آخر. معك الحق، لكن حتى ولو ذهب الى هناك وحده فلن يزعجه أحد. ان الشبان الذين كانوا يعرفونه منذ أكثر من عشرين عاما لم يعودوا من رواد السوق الداخلي. انهم هاجروا الى الخارج ليعملوا أو كفوا عن ممارسة الدعارة. انهم اليوم رجال.

قال في عناد:

– مع ذلك يبقى السوق الداخلي خَطراً على تينسي اذا ذهب وحده.

– معك الحق. ان تينسي يخاف من الشبان الخطرين. بوولز أيضا كان قد تحدث لي عن انزعاج تينسي من الشبان الذين يلحون على صحبته. ان له انطباعا سيئا مع الشبان هنا خلال زياراته الى طنجة كما سمعت. كان هناك شاب ذو قوام رياضي يلاحقه دائما. وكان تينسي يقول لبوولز:

– انظر، انه هناك مرة أخرى ذلك الشاب المزعج. انه مخيف، انظر اليه كيف ينظر الي...!

لم أرد أن أستمر في معاكسة اليعقوبي. كنت أعرف أنه يضخم الأشياء. لقد فقد الاحساس بالعيش في طنجة. ان الحشاشين يشعرون دائما بالاضطهاد وأحمد اليعقوبي حشاش.

ودعنا تينسي قدام المنزه وانصرفنا. قال لي اليعقوبي:

– انه رجل طيب جدا وجاد. يكره الكذب والتملق. يتذكر دائما

١) نسبة إلى السوق الداخلي.

أصدقاءه القدامى ويساعدهم اذا حدثت لهم مصائب. لكنه يقطع علاقته بصرامة مع من يغشه. أنا أعرفه منذ أكثر من ربع قرن.

– صحيح. أعرف عنه تقريبا كل ما تقوله عنه.

– من خلال ما قرأته عنه؟

– نعم. لقد قرأت بعض كتبه وكتابات كتبوها عنه.

– أنا لم أقرأ له شيئا، لكني أعرفه خيرا ممن قرأوا له.

١٩-٧-١٩٧٣

وجدته جالسا مع صديقه باكسه في رصيف مقهى باريس. كانت حوالي الحادية عشرة والنصف صباحا. صافحتهما وبقيت واقفا. دعاني تينسي الى الجلوس. عرض عليّ أن أشرب شيئا. طلبت قهوة بالحليب. لم أكن أملك فلسا واحدا للإفطار. فكرت: على الأقل لن أضطر إلى أن أدخن على الريق. كان يقرأ هيرالد تريبون. أعطاها لصديقه وقال لي:

– هللو شكري! ماذا هناك من جديد؟

ابتسمت له. كنت أحمل معي مسرحيته: "هبوط أورفيوس" و"بعد السقوط" لأرثر ميللر مترجمتين الى العربية. مددت له مسرحيته قائلا:

– هذه مسرحيتك: "هبوط أورفيوس".

أمسك الكتاب ضاحكا وقال بلهجة مازحة:

– أووه! ألم ينشروا لي صورة أخرى جميلة كما فعلوا في كتاب: "قطة فوق صفيح ساخن؟" (أضاف) أهو نفس المترجم الذي نقل

مسرحية : "قطة على نار" الى العربية؟

– نعم. اسمه محمد سمير عبد الحميد.

وضع الكتاب على الطاولة. أمسكه باكسه وسالني:

– كم من مسرحيات ترجموا له الى العربية؟

–أعرف أنهم ترجموا له أربعاً أو خمساً. ربما أكثر.

أريته فهرس مسرحيات تينسي التي صدرت في تلك الدار مترجمة الى العربية. سالت تينسي:

– هل قرأت لكتاب عرب الذين ترجمت بعض كتبهم الى الانجليزية؟

– كلا. (استدرك قائلا:) آ. لقد قرأت لمحمد المرابط الذي يترجم له بول حكاياته.

أريته مسرحية بعد السقوط. قرأ العنوان بالانجليزية وأبعدها عنه بيده باحتقار:

– أووف! انه كاتب سيء.

بدا التقزز على وجهه. فكرت: أهو يكره كل ما يكتبه ميللر أم أنه فقط يكره هذه المسرحية عن زوجته مارلين مونرو؟ ربما كانت مارلين صديقة لتينسي. فجأة استكان. انشرح وجهه واستعاد شكله المرح. أهو جاد أم أنه يمزح؟ أنظر اليه باستغراب. انتظرت ما سيضيفه عن ميللر. قال بهدوء كما لو أنه يضع عنوانا جميلاً ساخناً لإحدى مسرحياته أو يختمها بجملة شفافة:

لا، لا. ليس صحيحا ما قلته لك عن ميللر. أنا فقط أمزح.

يبتسم ويتكلم ببطء. فكرت: لا بد أنهما لا يتفاهمان. بدأت أنا

أيضا أستعيد هدوئي وأبتسم معه بعدما كنت مندهشا. أضاف:

– ان أرثر ميللر كاتب جيد. (رأيت في هذه المرة، من خلال فتحة قميصه، صليبا ذهبيا جميلا مرصعا بأحجار سوداء) قد يكون لا يحب ما أكتبه، (ضحك) أظن هذا. لكن حبه وكراهيته لما أكتبه لا يعنيان شيئا. حتى ما يكتبه عنا بعض النقاد من انتقادات سيئة لا تعني شيئا. انهم يسلخوننا، لكننا نعرف كيف نجدد جلدينا.

وَدِدْتُ لو أنه يستمر في الكلام هكذا. كان يتكلم بارتياح كمن لم يعد يهمه ما يقال عنه في صالحه أو ضده.

كان اليعقوبي قد وقف قدامنا. جلس وتركتهما يتحدثان. سمعت اليعقوبي يقترح عليه زيارة السيدة لويز دو مورون LOUISE DE MEURON في منزلها. قال له اليعقوبي إن هذه السيدة تملك حديقة تعتبر من بين أجمل حدائق طنجة التي يملكها أغنياء هذه المدينة. طلب مني اليعقوبي أن أذهب لأفتش عن رقم هاتفها في دليل هاتف المقهى كي يخبرها بالزيارة.

حينما عدت وجدت تينسي انصرف مع باكسه. أعطيت رقم الهاتف لليعقوبي. قال:

– لقد وافق تينسي على زيارة السيدة لويز دومورون مساء اليوم. سنتقابل معه ونذهب سويا.

في المساء التقيت اليعقوبي وصديقته المغربية السمراء جالسين في رصيف مقهى باريس. ذكرت لي أنها درست في أمريكا وأنها لم تعد تذكر حتى كيف تتكلم جيدا الدارجة المغربية. كان اليعقوبي قد سألني عن رأيي فيها. قلت له إنها متكبرة. لا تحب أن تتكلم مع المغاربة سواء

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بلغتها أو بأية لغة أخرى. ان أربع أو خمس سنوات لا تستطيع أن تنسيها لغتها. كان هو أيضا قد قال لي عنها:

– والله حتى أنا لا أعرف. انها تتكلم معي أنا أيضا بالانجليزية. انها امرأة. مزاج النساء صعب. ان لهن أفكارا شيطانية. هي تعرف عني أكثر مما أعرفه أنا عنها. هن لديهن كل الوقت لمراقبتنا نحن الرجال. أنا دائما أطلب منها أن تشرح لي ما تقوله بوضوح أكثر من مرة، أما هي فلا تطلب مني أن أوضح لها شيئا أقوله.

– اذن إما أنها تفهمك جيدا أو هي لا تفهمك مطلقا.

– والله لا أدري. أنا لا أثق في النساء. هناك دائما أكثر من شيطان يسكن في روح امرأة.

كنت أحمل معي "صيف ودخان" والعدد السابع من مجلة أنتيوس Anteaus المنشور فيه الفصل الأول من سيرتي الذاتية. وصل باكسه حوالي السادسة إلاّ ربعا. ثيابه بسيطة ونظيفة. جلس وأخبرنا بمجيء تينسي. بعد لحظة جاء تينسي. لون بذلته بني غامق. قماشها أملس يلمع في الشمس كلما تحرك. بدا مشرقا ومرحا. فكرت: ان حالته النفسية المرحة لا تتناسب مع لون بذلته الحربائية. طلب زجاجة ماء "ويلميس". كان باكسه حالما كعادته. الشمس توشك أن تغيب. فكرت: هل ينتظر اليعقوبي مغيب الشمس خلف بناية القنصلية الفرنسية كما هي عادته؟ كتبت اهدائي لتينسي في الصفحة الأولى وأعطيتها له. قرأ بضع أسطر في بداية السيرة وانفجر ضاحكا. كانت السطور الأولى تبدأ بصراخي وحزني على موت خالي. شكرني وقال:

– لقد بدأت سيرتك الذاتية بالبكاء. هاهاها. لا بد أن تنهيها

وأنت صامت. ان ما يبدأ بالحزن لا بد أن ينتهي بالحزن.

ثم سأل اليعقوبي عن المرأة التي سنذهب عندها. قال له اليعقوبي:

– انها أرملة طيبة. تقيم في طنجة منذ سنين طويلة.

سأله تينسي مازحا:

– وهل تملك مالا كثيرا؟

– لا أدري، لكنها ليست فقيرة. هذا مؤكد.

قال تينسي بمرح:

– أنا لا أملك مالا كثيرا. أريد مزيدا من المال.

قلت لتينسي:

– إذا لم تكن غنية فإن لها لَقباً على الأقل. انها كونتيسة كما سمعت.

قال:

ان اللقب ليس كافيا في هذا العصر. لا بد من المال واللقب أو المال بدون لقب.

ضحكنا ما عدا باكسه وصديقة اليعقوبي. فكرت: هي وصديق تينسي من طينة واحدة. انها توحي بالاغتصاب، أما هو ففي حاجة الى مثل ذلك الزنجي الذي أكل الرجل الأبيض في قصة تينسي: "الرغبة والدلاك الأسود" DESIRE AND THE BLACK MASSEUR.

فكرت في نفسي: إنني لا أملك سوى الحياة التي عشتها والحياة التي لم أعشها بعد.

كانت الشمس قد غابت وراء بناية القنصلية الفرنسية عندما نهض اليعقوبي وطلب منا الذهاب عند السيدة لويز. أعطاني اليعقوبي ورقة

عشرة دراهم لادفع للنادل ثمن طلباتنا.

ركبنا في سيارتي أجرة صغيرتين. ركبت مع تينسي وصديقه باكسه وركب اليعقوبي في السيارة الاخرى مع صديقته.

في الطريق بدأ تينسي يدندن بأغنية. فكرت: انه يعرف كيف يبهج نفسه في كل لحظة. كان بول بوولز يسكن سنة ١٩٤٠ في أكا-بولكو ACA-PULCO عندما زاره تينسي هناك. كان مازال كاتبا مغمورا يضع قدمه في المسرح كاتبا فاشلاً ويضع قدمه الاخرى في كافيتيريا أحد المستشفيات عاملا أو مقيما في مزرعة صغيرة في شاطئ لاجونا مقابل رعاية الدواجن والعيش على ما يسرقه من بيض وفاكهة وبصل جاف.

كان ذلك في شهر غشت. وصل تينسي قبيل الزوال الى منزل بول. كان مدعوا مع زوجته الى حفلة ستقام على الشاطئ. في البداية انزعجت جين من زيارته لهما في تلك الساعة القائظة. لم يكونا يعرفان بعد شيئا عن مواهبه الادبية. أخيرا أشفقت عليه جين وسمحت له أن يدخل المنزل من تحت تلك الشمس الكاوية. أوصيا خدامهما أن يقدموا للسنيور كل ما يريد من أكل وشراب. حين عادا في المساء وجداه مستلقيا على كَلّة جِدَّ مَرِح وتحتها زجاجة من الروم يشرب منها وحوله ببغاوات تَرُدُّ على صيحاته النشوانة.

كنا نتبع سيارة اليعقوبي. كان بول قد عرفني بالسيدة لويز دو مورون في منزله. كانت تعتبر كل الناس الذين يعرفونها مثل أولادها. حتى بول، الذي يكبرها بسنوات، كانت تعامله كما لو كان ولداً لها في حاجة الى أم تنصحه.

دخلنا أزقة ضيقة المنعطفات. كان أطفال مغاربة يحيوننا في ذلك

الحيّ بصرخات الابتهاج وتلويحات أيديهم. قال تينسي:

– يا الهي! ما أكثر الاطفال في هذا الحي!

قلت له:

– انهم في عطلة الصيف المدرسية.

– انني أفهم. وهل كلهم يدرسون؟

– أكثريتهم.

تينسي مسرور بتلك الابتهاجات التي يرسلها نحونا هؤلاء الأطفال الفقراء. باكسه كان جامداً مثل "تمثال الخلود" وتينسي لا ينسى أن يتنغم بكلمات أغنية. سألته مازحا:

– هل كانت مس ألما واينميلر ALMA WINEMILLER تغني جيدا لا جولوندرينا؟ LA GOLONDRINA.

– أووه! نعم. كانت تغني جيدا.

– ونيال، أكان هو أيضا يعزف جيدا على الجيتار عندما كان يغني أعشاب المساء؟

– أيضا كان رائعا في الغناء. ان كل من له أحلام حزينة يغني جيدا. ان نيال ومس واينميلر كانا حالمين.

أردت أن أسأله عما اذا كانت ألما واينميلر شخصية حقيقية عرفها في حياته، لكن هذا السؤال بدا لي غير مهمّ. ان الكتاب الكبار غالبا ما تكون الأماكن التي يصفونها والشخصيات التي يحللونها أروع مما هي في الواقع.

قلت له:

– انني أحمل معي "صيف ودخان".

هزّ رأسه وابتسم بشرود. أضفت:

– في نهاية المسرحية هناك حوار قصير بالاسبانية بين ألما وذلك الشاب البائع المتجول. هل تعرف الاسبانية؟

قال باسترخاء:

– انها مجرد كلمات. انني لا أحسن الاسبانية.

كدت أقول له:

– ان مس ألما حفيدة لمستر برين في "الحرف القرمزي" لنثانيال هوثرن.

نزلنا طريقا شديدة الانحدار. كانت فيلا جميلة جدا في مواجهة الجبل الكبير (قرب مرقالة).

وعلى مرأى منا كان منزل كبير يبدو متصدعا، كالحا، مهجورا. فكرت: ان روح كريستيان طوني مازالت تطوف هناك[1].

قال تينسي:

– أعتقد أني جئت الى هذا المكان منذ سنوات. ما أروعه!

نزلنا من السيارة. اليعقوبي وصديقته سبقانا الى الفيلا. نزل تينسي وباكسه ومشيا نحو الفيلا وتركاني مع السائق. كنت مازلت أحتفظ بأربعة دراهم تَبَقَّتْ معي من ورقة العشرة. رآني تينسي أدخل يدي في جيبي فجاء مسرعا وهو يقول: – أووه! لا. هذا لا. كم يجب أن أدفع

١) الرسام الهولاندي السريالي الذي عاش في باريس. أقام في هذا المنزل سنة ١٩٣١ وكان يدفع لصاحبة المنزل الفرنسية، بين فترة واخرى، لوحات كايجار للجناح المخصص له، وكانت هي تستلمها منه دون اكتراث، غير مؤمنة باية قيمة فنية لما كان ينتجه هذا الرسام كما صرحت لبول بوولز بعد عشرين عاما وهي تخرج اللوحات من مكان مهمل ليراها طالبة منه ان يثمنها ويبحث لها عن مشتر لانها كانت تعيش ازمة مادية في اواخر حياتها.

له؟

– ادفع له ما تشاء.

أعطاه ورقة عشرة دراهم. أراد السائق أن يرد له الصرف. قال له تينسي:

– احتفظ بالباقي.

شكرني السائق الاسباني مبتسما. كنت أعرف أن سائقي سيارات الأجرة يكرهون من يتدخل من أهل البلد في تحديد ثمن الأجرة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالاجانب الذين يبدو عليهم الثراء.

توقف تينسي على سدة درج الممر ناظراً الى الجبل. منظر يلتقي فيه اخضرار الجبل بالشفق: سحب وردية ممزوجة بلون زهر أشجار اللوز. تذكرت منظراً لجزيرة "بالي" رأيته في كتاب: "عالم الانسانية". بين خطوة وأخرى يتوقف لينظر الى الجبل المشرف على مكاننا أو ينظر حوله. استنشق بعمق وقال:

– ان هذه السيدة تملك أزهاراً زكية في حديقتها. كم أحب هذا المنظر!

فكرت: لقد رأى العالم. لا بد أن يكون قد رأى آلاف المناظر أجمل من هذه. هو الذي رآها. أما أنا فيكفيني أن أزور ذات يوم "بالي" أو "جاوة".

استقبلتنا السيدة لويز وابنتها ببشاشة فياضة. كان اليعقوبي وصديقته واقفين معهما. سألت السيدة لويز تينسي ان كان يفضل الجلوس في الحديقة أم في البهو الصيفي الصغير. قال:

– أنا أفضل الجلوس في البهو.

قبل أن نتجه اليه رجتنا أن يختار كل واحد منا ما سيشربه. ذكرت لنا أنواع الشراب التي عندها. طلب تينسي فودكا، طلبت أنا مثله، باكسه طلب مارتيني واليعقوبي وصديقته طلبا شايا أسود بالليمون.

جلسنا فوق مضاجع واطئة مريحة. قال تينسي للسيدة لويز:

أعتقد أنني زرتك هنا من قبل.

قالت بمرح:

– طبعا. انني أذكر جيدا، لكن كان ذلك منذ سنوات طويلة.

سألها عن سيدة روسية كانت مقيمة عندها. قالت:

– آآ سونيا كامالاكار. Sonia Kamalakar تلك الحمقاء. انها الآن في الفردوس. لقد ماتت منذ سنوات.

انقبضت ملامح تينسي وتمتم:

– م م م. . ! وزوجها.

– أنت لا شك تعرفه. إنه صوفي. لقد أنهى حياته متجولا في قرى اسبانية.

تخيلته كأنه يشم رائحة نتنة تفوح من كلمات السيدة لويز. بعد لحظة انشرح مع جرعات الفودكا وصار يضحك وهي تحكي له عن جنون سونيا وتصرفاتها الغريبة. وكانت صديقة لجين بولز.

– كانت تفسد لي أفضل زهوري. تَصَوَّرْها وهي تدوس لي زهوري عمدا. مع ذلك فلم أشأ أن أطردها، لقد كانت وحيدة وفقيرة. مسكينة سونيا!

أحيانا يضع تينسي يده على فمه ليخفي ابتساماته أو يدوّر عينيه في محجريهما متعجبا من قصتها مع سونيا. كنت، أنا أيضا، قد سمعت

من صديق مغربي، يعرف السيدة لويز وسونيا، أنها كانت تتمشى عارية تماماً في الحديقة، تغني وترقص غير عابئة بمن يراها.

أخذ تينسي والسيدة لويز يتحدثان عن بربارة هاتن ومرضها المزمن وأزواجها العديدين. سمعت تينسي يقول لها عنها:

– ان صحتها كانت دائما ضعيفة.

ذكرت السيدة لويز عقار نيمبوطال عدة مرات ثم قالت:

– مع ذلك فأنا أتناول هذا العقار منذ سنوات ولا أحس بأي خطر يهدد صحتي، لكني آخذ منه ما يكفي لأنام وليس لكي أتخدر.

كانت تخدمنا ابنتها وسيدتان مغربيتان أنيقتان وحذقتان في عملهما. نادت ابنتها على أطفالها الثلاثة. كانوا يلعبون في الحديقة. دخلوا وسلموا علينا بطريقة جد مهذبة متقنة. ذكرتني تحيتهم بأدب الصالونات الغربية في القرون الماضية. نادت السيدة لويز فجأة:

– أمادو! أمادو! فيان ايسي أمادو!

دخل شابان أسودان، أنيقان. لثما يد السيدة لويز ويد ابنتها ثم صافحانا وانسحبا بأدب بالغ.

كانا مغربيين. أدركت أن أمادو (اسم أحدهما) هو أحمد.

سأل تينسي السيدة لويز:

– هل أنت فرنسية؟

– كلا، إنني سويسرية – ألمانية.

ثم سمعتهما يتحدثان عن بول بوولز ووفاة زوجته جين بِوِلْ وحزن. قال لها تينسي بصوت مؤثر:

– لقد كانت كاتبة عظيمة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كان تينسي قد قال عنها في نيويورك تايمز عندما كتب مقالا حول الكاتب المسرحي "وليام اينج" : "لست أنا الوحيد، في اعتقادي، الذي يرى أن جين بوولز هي أكبر كاتبة نثر في القرن العشرين". طلبتُ من ابنة مضيفتنا مزيدا من الفودكا بالثلج وماء طونيك. أحسست باسترخاء شامل وأنا أشرب على مهل من كأسي. سمعت اليعقوبي يروي قصة شاب مغربي صحب أوربيا لوطيا الى منزله. حين رفض الشاب مضاجعته قطع له عضوه التناسلي بسكين.

تقززت ملامح تينسي ثم سأل بقلق:

– من قطع للآخر؟

– الشاب المغربي قطعه له.

سأل تينسي بنفس القلق والامتعاض:

– وهل قطعه له كله؟

قال اليعقوبي ضاحكا:

– من حسن حظه أنه جرحه فقط.

استعاد وجه تينسي هدوءه ثم قال ضاحكا:

– كنت أظن أنه قطعه له كله. يالهي! ان بعض الشبان فظيعون.

نظر تينسي الى ساعته وقال:

– أعتقد أننا سنذهب الآن. اننا مدعوان، أنا وباكسه، عند بول.

تطوعت ابنة السيدة لويز لتحملنا في سيارتها الكبيرة.

في الطريق بدأت ابنة السيدة لويز تروي حكايات أخرى عن أصدقاء أمها الغريبي الأطوار.

توقفت السيارة قرب العمارة. نزلت مع تينسي وصديقه. لم أكن

مدعوا عند بول. فكرت: ماذا يمنع من أن أصحبهما؟ ان مرحي يجب أن يستمر. مزيدا من الشراب. تذكرت جون بوكانان في صيف ودخان. لا بدّ أن يكون بول قد اشترى خمرا لتينسي هذه الليلة.

فتح لنا الباب بول. دخلنا الى غرفة الجلوس. سأله تينسي عن المرابط. قال له إنه يعد العشاء.

خلع تينسي سترته ووضعها بول فوق دولاب خشبي مغربي قديم. ظهر المرابط. صاح تينسي:

– هللو المرابط!

تعانقا بحرارة.

جلس تينسي على مضجع مغربي. صافحني المرابط وعاد الى المطبخ. جلست قبالة تينسي على البساط. أخذ بول يحشو سيجارته بالتبغ الأخضر وتينسي يحدثه عن صعوبة العثور على فيلا جميلة ومريحة. سمعت تينسي يسأله عن دار البارون دو فافييه BARON DE FAVIER LE. التي سكن فيها سنة ١٩٦٢.

سمع جرس الباب. قال بول:

– أعتقد أنها كارول أردمان. CAROL ARDMAN

فتح لها المرابط. دخل صحبتها جافن لامبرت GAVIN LMBERT

كانا محملين بزجاجات نبيذ وماء معدني. وضعاها فوق الطيفور. نظرت الى زجاجات الماء المعدني وفكرت في الضفادع البشرية. جلس جافن لامبرت قدام تينسي. بدا لي شكل لامبرت مثل طائر حاضن في عشه: وضع ساقا على ساق ومرفق يده اليمنى فوق ركبته. تمشيطة رأسه أيضا تشبه عرف طائر. كان المرابط وكارول يهيئان المائدة. وجه

كارول متورد. عينا المرابط نائمتان كعادته عندما يدخن الكيف كثيرا. تينسي يتأمله بوجه مشرق. صبت لنا كارول النبيذ. بول يشرب شايه الأسود بالليمون. تذكرت الخيام:

تينسي وجافن يتحدثان عن بعض الأشخاص. بين فينة وأخرى يشاركهم بول. دخل المرابط حاملاً طاجين الدجاج مطبوخا بالخضار. استنشق تينسي رائحة الطاجين وقال:

–الطبخ المغربي لذيذ.

تذكرت أن العربي العياشي (صاحب كتاب حياة مليئة بالثقوب أو العيش الذليل، الذي نشره باسم ادريس الشرادي) كان يعمل طباخا عند تينسي حينما كان هنا سنة ١٩٦٢ مقيما في دار البارون دو فافييه.

قال لي المرابط وهو يغرف لي من الطاجين:

– حسنا فعلت اذ جئت. يسرني دائما أن أكون مع مغربي في مأدبة كل مدعويها أجانب.

كان الطاجين لذيذا. كنت أعرف أن المرابط يفخر بكل ما يصنعه. لا أبالغ اذا قلت أنه لا يفرق بين قيمة طاجين جيد طبخه، قصة نشرها في رولينج ستون ROLING STONE، سمكة كبيرة اصطادها في شاطئ مغاور هرقل أو المسيسيبي، حزمة كيف نقاها جيدا وقصصها، شرائه عصفورا يغني جيدا، السرعة التي يقود بها سيارته ومشادة دامية ينتصر فيها على خصمه. انه، في الغالب، يفضل مهارة يديه على موهبة خياله في سرد احدى حكاياته على بول.

أراد المرابط أن يغرف مزيدا من الطعام لبول. قال له بول بالاسبانية:

– شكرا، أنت تعرف أنني لا أستطيع أن آكل كثيرا.

قال المرابط بالاسبانية:

– انك تأكل أقل مما يأكله أحد عصافيري.

المرابط أيضا يفخر بأكبر كمية يأكلها. انه لا يتعامل مع التواضع في الحياة. المبالغة والتضخيم في كل شيء حتى ولو كان ذلك على حساب صحته.

قلت لكارول بالعربية:

– لا صحو الليلة ولا أبدا.

سألت:

– ماذا تقول؟

– ان نبيذ المغرب جيد.

– هذا صحيح.

ثم صبت لي.

بعد العشاء دخل تينسي الى الحمام. حين خرج اتخذ وضع راقص الفلامنكو رافعا يديه الى فوق ثم غنى بالاسبانية. فكرت في جون بوكانان وروزا جونزاليس في صيف ودخان. تخيلت أنغام الأكورديون. دار تينسي دورات رشيقة مقلدا رقصة الفلامنكو. فكّ زرّ ياقة قميصه وجلس. قلت له:

– ان شخصيتك تختلف تماما عما تكتبه.

– كيف تفهم ذلك؟

– ان أعمالك، خاصة مسرحياتك، جد حزينة وأنت تعيش في ديمومة من الفرح. كيف تشرح ذلك؟

– ليس ما تقول صحيحا. ان أعمالي ليست حزينة. أحزان أشخاص

مسرحياتي جزء من حياتهم. ان الحزن، أحيانا، فرح والفرح، أحيانا، حزن. ليس كل حزن هو حزن، ولا كل فرح هو فرح.

تمتمت:

– م م م ... إني أرى.

فكرت: من أين استوحى اذن هموم ألما واينميلر؟ أضفت له:

– اني أيضا لا أفهم تحولك من البروتستانتية الى الكاثوليكية بعد شفائك من مرضك البالغ الخطورة.

– اني أومن بالله. هذا كل شيء.

– أليس أنك تعلن ايمانك بالله لترضي المؤمنين المعجبين بأعمالك؟

ضحك وقال:

– لا علاقة تماما بين ايماني الديني وما أكتبه.

تأملت الصليب المرصع بأحجار سوداء المتدلي على صدره وقلت:

لقد استغربت عندما رأيت الصليب في عنقك لأول مرة.

لمسه بأصابعه وقال بحزن:

– ان أمي مريضة. أتمنى في هذه اللحظة أن يشفيها الله.

استرخى الى الوراء وقال:

– أعتقد أنك شاعر. ألا تكتب الشعر؟

– كتبت بعض المحاولات في الماضي، لكني لم أنشرها.

– انك تملك مخيلة شاعر.

– ربما.

– لك وجه شاعر. وجه اسباني.

ضحكت وقلت له:

–وأنت لك وجه ألماني.

– ربما. أعتقد أن أحد أجدادي كان ألمانيا.

ثم تأمل المرابط وقال له:

– هللو المرابط! أمازلت قويا؟

كان قميص المرابط الأسود مفتوح الصدر. نهض. خلع قميصه بحركات وأوضاع رياضية مبرزا عضلاته. صفق تينسي هاتفا:

– برافو! انك مازلت محتفظا بقوتك.

لبس قميصه وجلس.

بعد لحظة قال لي:

– انني أستضيفك الى فلوريدا. عندي هناك شاليه في كي ويست. KEY WEST تعال الى هناك لتقضي فترة تكتب فيها.

شكرته وقلت له أني سأفكر في الأمر.

شرب ثمالة كأسه وقال:

– أعتقد أني سأهذب لأنام.

تطوع المرابط ليحملنا في سيارته.

في الطريق الى المدينة سأل تينسي المرابط بالانجليزية:

– أما زلت تكتب باستمرار؟[1]

قال له المرابط بالفرنسية:

– نعم، لكني مازلت فقيرا. ان كتبي لا تعطيني كفاية من المال لكي

١) المرابط لا يعرف الكتابة والقراءة إنما هو يسجل حكاياته بالدارجة وبوولز ينقلها إلى الإنجليزية.

أعيش.

قال له تينسي:

– ولكنك تملك سيارة خاصة.

ليست سيارتي. بول هو الذي يعيرها لي.

قال تينسي ضاحكا:

– بول عنده سيارتان. موستانج MOSTANG وكارمان جيا. GHIA KARMAN

أنا لا أملك أية سيارة. انني أيضا مازلت فقيرا.

تذكرت ما قاله لي بول من أن تينسي دائم الشكوى من الفقر رغم أنه غني. يقول دائما لأصدقائه أنه لا يملك أكثر من ثلاثين أو خمسة وثلاثين ألف دولار.

نزلنا قدام فندق المنزه. كان تينسي يبدو مرحا. عانقنا، المرابط وأنا، بحرارة. صافحنا باكسه ببروده المعتاد. ركبت مع المرابط وسألني عن المكان الذي سيوصلني اليه. طلبت منه أن يتركني قدام مرقص الميرادور. EL MIRADOR

عندما نزلت قال لي:

– انك تقتل نفسك كل ليلة بالشراب.

قلت له ضاحكا:

– سأحاول ذات يوم أن أكف عن الشراب، لكن حاول أنت أيضا أن تتخلى عن تدخين الكيف وتناول معجون الحشيش.

تأملني بعينيه المخدرتين وقال:

– ان الشراب يضر أكثر مما يضر الكيف والمعجون.

لم تكن عندي رغبة في مناقشته عن أيهما أكثر ضررا. كان عطشي أقوى. ودعته وانصرفت الى حانة: "ثقب في الجدار". IN THE WALL. THE HOLE.

١٩٧٣-٧-٢٠

التقيته مع صديقه باكسه في شارع محمد الخامس. يبدو منزعجا. ابتسم لي بتعب.

١٩٧٣-٧-٢١

صباحا، ١١.٤٥ في مقهى باريس.

تحسنت حالته الصحية. له موعد مع طبيب مغربي. ذكر لي أنه في حاجة الى شراء بعض الفيتامينات. أخبرني أنه أعجب بالفصول الثلاثة من سيرتي الذاتية. For bread alone

في المساء التقيت ادوار روديتي E. RODITI في مقهى باريس. وجدني أكتب مذكراتي مع تينسي. ذكرت له أني أنوي نشرها في كتيب. سألته عما اذا كان يعرفه شخصيا. قال:

– أعرفه عندما كان شاعرا مغمورا. كنا ننشر معا بعض أشعارنا في دار نشر: NEW DIRECTIONS-ANUAL

لكننا لم نكن قط صديقين.

١٩٧٣-٧-٢٣

صباحا ١١.١٥، في مقهى باريس.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

أكتب مذكراتي عنه. أراه واقفا خارج المقهى باحثا عن مقعد ليجلس. خرجت واقتربت منه. تصافحنا. ذهبنا بحثا عن الصحف الانجليزية والأمريكية في الاكشاك. لم تكن قد وصلت بعد. حدثني بانزعاج عن صديقه باكسه.

– إنه غبي. لا يفكر إلا في نفسه. نرجسي. يهتم كثيرا بشراء البذلات والقفطانات الغالية مثل فتاة تافهة تغريها أية ملابس براقة.

– لا شك أن صديقك شقي. إنه لا يكاد يبتسم.

– صحيح. لهذا أفكر أن أعيده إلى أمه. إنه ابن أمه. لابد لي من أن أبحث عن صديق آخر يتحمل مسؤولية العمل معي بجد.

دخلنا مكتبة "كولون." رأيت الآنسة ايفون منشغلة في مكتبها. أخذ صحيفة لوموند من حاملة الصحف. قلت له.

– انظر! هناك صحف أخرى فرنسية.

– ان ما تقوله لوموند يعادل كل ما في الصحف الفرنسية الأخرى.

دفع ثمن الجريدة للفتاة الإسبانية العاملة في المكتبة. التفت إلى رفّ الكتب الفرنسية. رأى أعمال رامبو الكاملة في مجلد واحد. كانت صورة جميلة له في صباه على الغلاف. لمس الكتاب دون أن يمسكه وقال:

– هذا شاعر كبير. أحبه كثيرا.

قلت له خارج المكتبة:

– أنا أيضا أحب رامبو. إنه من بين أعظم الشعراء الذين اكتشفوا أنّ الإنسان هو الذي يوحي لنفسه بالشعر وليس آلهة برناس.

– أوافقك. (أضاف:) قرأت عنه كتابا رائعا كتبته عنه الكاتبة

الانجليزية (بذل مجهوداً ليتذكرها) اسمها انيد ستاركي STARKIE ENID .

سألته:

– هل صديقك باكسه يساعدك في ضرب مسودات كتاباتك على الراقنة؟

– أحيانا. انه يفضل أن يسترخي ويحلم أكثر مما يعمل. لابدّ لي من أن أفتش عن رفيق آخر لأُتمّ رحلتي عبر أوروبا. إذا لم أجد رفيقا غيره فإني أفضل أن أكون وحيداً على أكون مع رفيق مثله. أنا أستطيع أن أعيش وحيدا. لاشك أنه شقي هنا في طنجة. ساعيده إلى أمه لتعنى به أفضل مني.

وصلنا إلى مقهى باريس. جلسنا في القاعة. كان الجو حاراً في رصيف المقهى. قلت له:

– لاشك أن صديقك مازال شابا وليس له تجارب كثيرة ليفهمك.

– صحيح. إنه في حوالي الخامسة والعشرين.

طلب فرني – برانكا بالثلج وطلبت أنا قدح حليب بارد.

قلت له بعد لحظة:

– لكن، أحيانا، يكون الانسان ناضجا في الخامسة والعشرين أو قبل.

– صحيح، لكن ليس باكسه من هذا النوع.

فكرت: من الصعب أن يعثر على صديق آخر في مستوى فرانك مرلو الذي كان ينظم كل أعماله الأدبية. ربما وفاته هي التي دفعته إلى الشراب بإفراط حتى أدخل إلى عيادة خاصة لعلاج المدمنين على

الشراب. كان يعتبره أخاه الروحي. لم يكن يصدق أنه مريض بسرطان الرئة. كان يظن أنه يتمارض. سمعت من بول أن تينسي عانى كثيرا من تأنيب الضمير بعد وفاة مرلو. ربما لأنه كان يستطيع أن يعنى به أكثر مما فعل من أجله.

قلت له:

– يبدو أن صديقك باكسه ليس له أي تسامٍ أدبي أو فني.

– انه لا يقرأ شيئا، لكنه يحب الموسيقى. إنها تجعله أكثر حلما بنفسه.

نظر إلى دفاتري وإلى كتاب LE COLOSSE DE MAROUSSI لهنري ميللر. سأل

– ماذا تكتب في هذه الأيام؟

أفكر في أن أكتب الجزء الثاني من سيرتي الذاتية بعد أن أنتهي من قصة أسميتها: "الخيمة".

– ألم تتخلصوا بعد من الخيام أنتم العرب؟

– لأن شمسنا مازالت حارة.

أمسك كتاب ميللر وقال:

– هذا لم أقرأه بعد.

– بول قال لي إنه أحسن ما كتب ميللر. هل يعجبك ما يكتبه.

– أوه! نعم. إنه كاتب جيد. لقد عانى كثيرا ليصير كاتبا. ان حياته كانت قاسية جدا. ثم انه جريء في كتاباته.

– هل تعرفه شخصيا؟

– قابلته منذ سنوات.

وضع لنا النادل المشروبين. شربت كأسي دفعة واحدة. سألني:

– يبدو أنك تحب الحليب.

– ليس كثيرا. استيقظت في الخامسة صباحا وأريد أن أستعيد حيويتي بعد أن كتبت كثيرا وشربت نبيذا رديئا.

كدت أقول له إنني أعتبر الحليب، أحياناً، شراب الأطفال والمرضى، وانني، أحيانا، أحسني طفلا أو عجوزا عندما أشرب الحليب.

سألته:

– ألم تعثر بعد على فيلا؟

– آ، نعم، لقد عثر لي جون هابكنز [1] على فيلا جميلة في الجبل. صاحبها سيسافر إلى هونج كونج ليقضي هناك عطلته؟

– أليس هو سانش دورامون؟

– كلا. شخص آخر. الفيلا بعيدة عن البحر، لكن فيها تليفونا وأستطيع أن أطلب سيارة أجرة لأنزل إلى الشاطئ. إنني معتاد على السباحة.

– قال لي بول إنك تسبح أيضا في سائر الفصول.

– صحيح. ان السباحة تجدد حيويتي، وأنا متعود أيضا على العمل كل يوم. إنني أمرض إذا لم أشتغل في كتاباتي كل يوم.

فكرت: كذلك كان همنغواي. كان يحب السباحة ويعمل كل يوم. بعد لحظة سألته:

– هل قرأت فصولا أخرى من كتابي؟ أريد أن أعرف رأيك فيه.

---

١) كاتب أمريكي يقضي نصف السنة في المغرب ويقضي النصف الآخر في رحلات عبر العالم. حاليا مقيم في طنجة. من مؤلفاته: ذباب طنجة الصامت.

– إنني أستمتع به كل يوم.

– إنه أول كتاب يصدر لي حتى الآن.

– هل تكتب بالعربية فقط؟

– نعم. لا أستطيع أن أكتب بلغة أخرى. إنها قضية أسلوب. لقد اكتسبت أسلوبي العربي منذ سنوات.

– إنني أفهم.

نظر إلى ساعته وقال:

– هل ممكن تناول وجبة غداء هنا؟

– ممكن، لكن من الأفضل أن تذهب إلى مطعم زاغورة أو مطعم كلاريدج.

– سأذهب لأسبح قليلا في الفندق قبل أن أتناول غدائي.

مساء ٥.٣٠ س.

أكتب مذكراتي عنه داخل مقهى باريس. رأيته جالسا في سطيحة المقهى. حملت كأس قهوتي وذهبت لأجلس معه.

أعطيته مجلة أنتيوس المنشور فيها القسم الأول من مذكراتي عن "جان جنيه في طنجة."

طلب من النادل شراب كامباري بالثلج. سألته:

– هل شاهدت بعض مسرحيات جنيه تمثل بالإنجليزية في أمريكا.

– لم أشاهد سوى "الشرفة". كانت مسرحية غامضة عن الدعارة. لم أفهمها جيدا، لكن أسلوبها شاعري.

– هذه هي نفس المسرحية التي أهداها لي كاتبا الاهداء بالعربية

والفرنسية.

ثم أريته اياها:

– أهو جنيه أيضا يعرف العربية؟

– يعرف الدارجة، ويستطيع أن يتهجأ الحروف العربية ويكتب بعض الكلمات بدون أخطاء.

– لم أكن أعرف هذا عنه. إنه غريب ورائع. قل لي، كيف كانت حياته هنا مع الشبان المغاربة السود؟ أكانوا يسمحون له أن يدخلهم معه إلى فندق المنزه أو غيره؟

ضحكت سائلا اياه قبل أن أجيبه:

– كيف عرفت أنه يحب الشبان السود؟

قال بمرح:

– أعرف أنه يحب السود. يحب أشخاصا مثل عيدي أمين.

– لقد رأيته هنا مرة مصحوبا بشاب أسود ومرة أخرى رأيت معه شابا أسمر. أعتقد أن حياته الجنسية كانت فاترة. كان يحب مداعبة الغلمان هنا ويعطيهم نقودا ليشتروا بها ثيابا دون أن يصحبوه إلى الفندق. كان إنسانيا جدا معهم. يشفق كثيرا على البائسين.

قال ضاحكا:

– لقد كان له نفس جلدهم. لكن قل لي أمازال يسرق ولو مزاحا؟

– لم أسمعه قط يتحدث عن أنه مازال يسرق، لكن الناس مابرحوا يتحدثون عنه كلص ظريف. أعتقد أن الذين يدعونه إلى حفلاتهم يروقهم أن يروه يختلس شوكة أو ملعقة من فضة ويضعها في جيبه دون أن يشعروه أنهم رأوه.

ضحك ضحكة صاخبة وقال:

– ساحكي لك ما حدث لي منذ سنوات. عندما كنت في بانكوك دعاني أمير إلى قصره للعشاء. كان شخصا جد مخنث. رأيت رسوماً لمؤخرات الرجال وأعضائهم التناسلية محفورة على جدران القاعة التي كنا فيها. قبل أن نتعشى كنت قد ثملت. كان قد أطلعني على مجموعة جواهره التي يعتز باقتنائها. تركها هناك في القاعة فوق طاولة قربي. ذات لحظة ظننت أن أحدا لا يراني. أخذت بعض الجواهر ووضعتها في جيبي. أخذ المدعوون الذين رأوني أسرقها يضحكون. عندما لم أعدها إلى مكانها بعد أن انكشفت سرقتي ظن الأمير أني جاد في الاحتفاظ بها. ألح على بعض أصدقائه أن يطلبوا مني إرجاعها. كنت أدخل يدي في جيبي وأتحسسها وأعدها. لقد بلغ به الانزعاج أنه رفض تناول العشاء إلى جانبي.

– وهل أعدتها له؟

– طبعا. كنت ثملا، لكن لست أدري أكنت جادا في الاحتفاظ بها أم لا؟ من لا يتمنى أن تكون له جواهر؟

– حتى ولو كانت مسروقة.

– ان ذلك أجمل.

– لا شك أنك لم تكن ماهراً في اختلاسها.

– صحيح، لم أتدرب على ذلك في صباي مثل جنيه.

بعد لحظة سألني:

– أنا مدعو هذا المساء إلى قصر يورك، هل تعرف صاحبه؟

– لقد رأيته لكني لا أعرفه شخصيا.

٧٣-٧-٢٥

صباحا. في مقهى باريس.

كنت جالسا مع أحمد اليعقوبي ومذيع يعمل في إذاعة طنجة. كان يريد أن يجري مقابلة مع تينسي للتلفزة المغربية. كان قد قام بنفس العمل مع اليعقوبي في مرسمه. رأينا تينسي يمر وحده قرب المقهى. قام اليعقوبي ودعاه ليجلس معنا. جرت محادثة بين تينسي والمذيع واليعقوبي حول المقابلة. بدا الانزعاج على وجه تينسي. شرح تينسي لليعقوبي بالانجليزية أنه لا يريد مثل هذه المقابلات الصحفية. كان يتكلم بتوتر. قال لليعقوبي:

– قل لصديقك المذيع أني ما زلت مشغولا في الانتقال إلى الفيلا التي اكتريتها في الجبل الكبير. عندما أستقر فيها فسوف نرى حينئذ إن كان ممكنا اجراء هذه المقابلة.

ثم اعتذر وانصرف.

٧٣-٧-٣٠

كنت جالسا مع اليعقوبي في سطيحة مقهى باريس. مزاجه اليوم منزعج. ربما بسبب صديقته التي تركته وذهبت في رحلة إلى الجزائر وتونس. قال لي:

– لن أكلمها إذا هي عادت. (أضاف :) لن أسمح لأحد بعد اليوم أن يدخل مرسمي. (أعرف أنه ليس جادا. إنه يقصد فقط الأشخاص الذين يضايقونه عندما تكون معه امرأة) .

www.mlazna.com-RAYAHEEN

جاء تينسي. طلب من اليعقوبي أن يصحبه إلى البريد لسحب طرد أرسل له من أمريكا. قال له اليعقوبي أنه ينتظر النادل أن يرد له صرف ورقة مالية. كانت الثانية عشرة إلا خمس دقائق. طلب مني اليعقوبي أن أصحبه.

ركبنا سيارة أجرة. في الطريق قال لي:

– إن اليعقوبي يبدو عبسا هذا الصباح.

– صحيح. أعتقد أنه يحزن حينما لا تعيش معه امرأة. إن صديقته ذهبت في رحلة خارج المغرب.

قال ضاحكا:

– فليبحث عن غلام إذا لم يعثر على امرأة.

– إنه يجعل من الفتاة التي تعيش معه كاتبة. هو في حاجة دائما إلى من يقرأ له الرسائل التي يتسلمها والإجابة عنها.

سألته عن صديقه باكسه الذي كان قد أصيب بمغص في معدته. قال:

– إنه يتماثل للشفاء. (أضاف:) إنه جد حالم. نرجسي. النرجسيون يحسون دائماً بمرض ما في أجسامهم. إنه HYPOCONDRIAQUE (وَسْواسيّ المرض).

حينما نزلنا من السيارة قرب البريد قلت له:

– أظن أنهم أقفلوا.

في شباك المداومة طلب منا الموظف أن نعود في الرابعة مساء.

في انتظار مرور سيارة أجرة، قدام البريد، ليعود إلى فندقه، سألته:

– ألم تعثر بعد على غلام جميل؟

قال ضاحكا:

– ليس بعد. ذات مساء، عندما كنت ذاهبا لزيارة بول، رأيت في مقهى، قرب مكتب لا ايبيريا، كثيرا من الشبان الوسيمين.

– هل تنوي أن تغوي واحدا من هناك؟

– كلا. لقد قلت لك ذلك فقط. إنني أخشى الشبان الذين يجلسون في مقهى باريس. إنهم يبدون خطرين.

استقلنا سيارة أجرة. ودعته قدام مقهى باريس. وجدت اليعقوبي مازال في مكانه يتحدث مع فتاة أميركية. كنت أعرفها. لقد وجدها. لن تمانع في الذهاب معه. حييته بإشارة من يدي ودخلت المقهى.

التقيت تينسي صدفة في شارع محمد الخامس حوالي الرابعة. كان ذاهبا إلى البريد لاستخلاص طرده. عرضت عليه أن أصحبه. رحب بالفكرة بسرور. ركبنا في تاكسي. إنه يفضل أن يركب في السيارة حتى ولوكانت المسافة التي يقصدها جد قصيرة.

في مكتب استلام الطرود سلم لهم استدعاء السحب. فحصت موظفة جواز سفره وقالت له:

– اسمك الشخصي هنا طوماس وفي الطرد تينسي.

شرح لها أنه كاتب وله اسم مستعار ثم أراها اياه في أسفل الصفحة.

كان طردا مليئا بالرسائل وقصاصات صحف ومجلة بلاي بوي.

قال الجمركي فاحصا المجلة:

– أوه! كلا. هذه المجلة ممنوعة هنا في المغرب.

أخذ يتفحصها ويبدي اشمئزازه من صور الرجال والنساء العارية.

جاء موظفان آخران وفتاة ذات وجه قلق. كان الجمركي يقلب

صفحات المجلة ويقول للموظفين حوله.

– انظروا! هل هذا ممكن أن يدخل المغرب؟ إنها صور قذرة. كلا، كلا، لا يمكن أن نسمح بتسليم هذه المجلة الخليعة.

قال لهم تينسي بالفرنسية غاضبا:

– لكن هذه المجلة تباع هنا في طنجة.

قال الجمركي:

– كلا، كلا، لقد منعت من الدخول إلى المغرب. انظر! انظر! إن هذا العدد فيه صور رجال ونساء عراة. حتى الرجال بدأوا يتعرون في هذه المجلة.

أخذ الجمركي ينظر في قصاصات الصحف. كان يحاول أن يقرأ عناوين المقالات بالانجليزية ويفتح الرسائل ويفحصها ورقة ورقة. صرخ تينسي بالانجليزية ضاربا كفا بكف:

– أووه! لا. لا يمكن أن يحدث هذا هنا. سأغادر المغرب في أسرع ما يمكن.

قال للموظفة التي كانت تنظر إليه بعصبية وتحاول أن تفهم ما يقوله:

– إن هذا الإجراء لا يحدث في أي مكان من العالم.

– إنك تعتقد ذلك. اذهب إلى باريس، مثلا، وسترى كيف يفتشون الرسائل والطرود.

قال تينسي بالفرنسية للجمركي الذي كان يفحص الرسائل واحدة فواحدة:

– لكنها مجرد رسائل شخصية. ليس فيها أشياء خَطِرة. لا أعتقد

أنهم أرسلوا لي قنبلة متفجرة.

قال لي الجمركي بالدارجة:

– قل له أن القانون الجديد يحتّم علينا أن نفتح كل الرسائل.

شرحت ذلك لتينسي بالانجليزية. قال بصوت صارخ:

– نادوا إذن على البوليس إذا شئتم. نادوا على البوليس. ماذا تنتظرون؟

كان تينسي يتكلم أحيانا بالفرنسية وأحيانا بالانجليزية. رأيت رسالة فتحوها ولم يفحصوها يطل منها طرف شيك بنكي. فجأة، كما هي عادة تينسي عندما يتأزم في موقف حرج، صار ينظر إلى ما يحدث بسخرية مرحة. أخذ يضحك عن كلّ كلمة يقولها هو أو يسمعها من الجمركي أو من أحد الموظفين المساعدين. مل الجمركي من عملية فتح الرسائل وقال لي:

– اجمع الرسائل وضعها في الصندوق. إنني سأعمل معه معروفا. سأتجاوز عن فتح كل الرسائل. الواجب يقضي بفتح كل الرسائل.

كانت معي نسخة التجارب لكتابي: «من أجل الخبز وحده.» خفت أن ينتبهوا للكتاب ويطلبوا مني أيضا فحصه. إن كل شيء جائز في مثل هذه الظروف. قال تينسي بالفرنسية:

– طيب. خذوا المجلة وأعطوني فقط الصفحات التي تحتوي على قصتي المنشورة فيها. إنني لا أريد تلك الصور العارية.

قال الجمركي:

– كلا. حتى هذا لا يجوز.

ثم قال لي بالدارجة:

– قل له أن ينتظر. سأذهب كي أرى ان كان الرئيس قد جاء.

شرحت ذلك لتينسي. قال:

– هذا لا يمكن. هذا لا يطاق هنا. طنجة لم تكن هكذا في يوم من الأيام.

عاد الجمركي بسرعة وقال :

– الرئيس لم يصل بعد. سيصل بين لحظة وأخرى.

ألحّ تينسي على الجمركي انه لا بد أن يقتطع من المجلة قصته.

قال له:

– موضوع قصتي ليس عن العراة.

أمسك المجلة وبيّن للجمركي الصفحات التي يريد أن يقتطعها. تسلم منه الجمركي المجلة وذهب بها عند موظف آخر يبدو أنه ينوب عن الرئيس في حالة تأخره أو غيابه. عاد وقال لتينسي بنفاد صبر.

– طيب، اقتطع الصفحات التي تحتوي عليها قصتك.

بينما كان تينسي يبتر صفحات قصته سألني الجمركي بالدارجة:

– هل هو مريض بذلك الشيء؟

قلت له متجاهلا ما يعنيه:

– ما هو ذلك الشيء؟

قال فاحصا هيأتي المهملة من أعلى إلى أسفل:

– هل هو «حساس؟»

شعرت بإهانة. قلت له بحدة:

– ليس شغلي. هذا يتعلق بحياته الخاصة. إنني أستاذ وهو صديقي. أنا لست لوطيا.

قال معتذرا:

– تشرفنا. إنني فقط أسألك.

قلت له باستهزاء:

– يمكنك أن تسأله إذا كان الأمر يهمك كثيرا.

– كلا، كلا. إنني أسألك أنت.

اقتطع تينسي صفحات قصته وأخذت أنا أربط صندوق الكرتون.

جاء جمركي آخر أعلى رتبة من الجمركي الأول وقال:

– افسخ لنرى ما هناك.

قلت له:

– إنني أربط ولست أفسخ. (أشرت إلى الجمركي الآخر) لقد فتش كل الرسائل.

قال له الجمركي الأول:

– صحيح، فتشت كل الرسائل.

كان الجمركي الأول مازال محتفظا بجواز سفر تينسي. سأله:

– أين جواز سفري؟

سلمه له الجمركي ووضعه في جيب سرواله الأسود بسرعة. كان بلا سترة.

في الخارج قال لي ضاحكا:

– إنها حكاية ظريفة لن أنساها أبدا. أعتقد أن الصور العارية أعجبتهم فأرادوا الاحتفاظ بها.

قلت له:

– إن ثمن البلاي بوي غال هنا.

– الجو حار. لنذهب إلى قاعة مدام بورط ونشرب شيئا باردا.

(أضاف:) من أين يمكن لنا أن نأخذ تاكسي؟

– إن قاعة مدام بورط قريبة منا.

– صحيح؟ لنمش إذن.

ردد ضاحكا عدة مرات:

– يالها من حكاية مضحكة!

حيتنا مدام بورط لدى دخولنا. كانت جالسة قبالة المدخل. سألته:

– لا شك أنها تعرفك.

– ربما. كنت آتي إلى هنا كثيرا في السنوات الماضية.

سبعة أو ثمانية أشخاص في القاعة. جلسنا في الوسط. طلبنا من الخادمة قدحي مارتيني أبيض بارد. عرض علي أن أطلب الحلوى. قبلت شاكرا. كنت جائعا ومفلسا. لم أكن قد تناولت طوال اليوم سوى كوب من الحليب وقهوة بالحليب. فكرت: هذه هي مساوئ السكر يوميا في حانات البغايا. تفو على الفروج النتنة!

نادى تينسي على الخادمة الإسبانية التي تشبه بطة في مشيها وطلب منها الحلوى. جاءت حاملة صينية مليئة بأنواع كثيرة. اخترت نوعا لم أكن قد تذوقته من قبل. سألتها عن اسم تلك الحلوى فقالت:

– اسمها الراهبة.

أخرج صفحات قصته: "ساباثا والوحدة": SABATHA AND SOLITUDE ووضعها فوق الطاولة.

جاءت الخادمة بالمشروبين في كأسين رفيعتين. في داخل كل كأس

قشرة ليمونة مقطوعة بشكل حلزوني ينتهي برأس صغير يشبه رأس أفعى صغيرة. رشف تينسي بلذة وقال:

– إنه جيد هذا الشراب هنا.

رشفت من كأسي وقلت له:

– صحيح. إنه بارد وطعمه لذيذ.

فكرت لنفسي: أولاد القحاب، كم يتمتع هؤلاء الذين يملكون كثيرا من الأموال!

نظرت إلى القشرة – الأفعى ونظرت إلى الكتاب الذي أحمله معي: (الثعبان ذو الريش) للورنس. أريته الكتاب. قال:

– لقد قرأته. إنه كتاب جيد عن المكسيك.

أمسك صفحات قصته وقال:

– هل تسمح؟ سأقرأ قصتي. إن ما ينشر لي أقرأه كما لو كنت أقرأه للمرة الأولى.

– إنك تقرأ إنتاجك المنشور إذن كقارئ وليس ككاتبه.

– إذا شئت فنعم.

أخذ يقرأ وأنا آكل الحلوى – الراهبة وأرشف من كأسي الباردة. أتأمل الأشياء وأحلم. كان يمد لي كل صفحة ينتهي من قراءتها. كنت أحيانا أقرأ بعض السطور كاملة وأحيانا أقرأ كلمة هنا وكلمة هناك. جو القصة إيطالي. كنت أقرأ وأرشف من كأسي وآكل الراهبة كطفل وأدخن. طعم الراهبة وطعم المارتيني يمتزج لذيذا في فمي. الجالسون في القاعة يتحدثون بهمس. موسيقى كلاسيكية هادئة. بين لحظة وأخرى يسمع هدير سيارة أو دراجة نارية ثم يسود صمت. كل

صفحة من قصة تينسي تتلاشى معها بضع دقائق. كل رشفة من كأسي أو مجة من سيجارتي أو قضمة من راهبتي الحلوى يموت معها جزء من حياة. تينسي يضحك أحيانا ضحكة خفيفة.

انتهى من قراءة قصته ووضع صفحاتها في جيبه. نظر إلى كتاب لورنس وسألني:

– هل يعجبك هذا الكتاب؟

– نعم. وتعجبني كل كتب لورنس. أنت أيضا يعجبك. لقد اقتبست إحدى مسرحياتك من قصة له: (أثرت عواطفي) me Yotouched.

– لورنس كاتب كبير.

سألته عما إذا كانت الحياة في طنجة ما زالت تعجبه.

– أووه! كلا. طنجة تغيرت كثيرا. من قبل كان هنا أصدقاء كثيرون. لم يعد لي فيها اليوم سوى بول بوولز.

– هل تعرف براين جيسن؟ Briom Gysin

– آ! الأميركي. أين هو الآن؟

– سمعت أنه في لندن. يعمل مع وليام بروز في كتابة سيناريو عن أحد كتب بروز. W. Burroughs.

– براين شخص غريب الأطوار.

نهض وقال:

– سأذهب لأستريح قليلا. إنني مدعو مع بول وكارول أرْدمانْ للعشاء في الجبل عند أحد الأصدقاء. أحسّ بالتعب. شربت أمس كثيرا في فندق رامبراند.

٣١-٧-٧٣

الخامسة والربع مساء.

قابلته قرب مقهى باريس. يبدو عليه التعب. قال:

– لابد أن أزور طبيبا. لم أنم جيدا منذ يومين.

سلمت له العدد العاشر من مجلة أنتيوس المنشور فيه القسم الأول من ذكرياتي عن جنيه في طنجة.

١-٨-١٩٧٣

التقيته في شارع محمد الخامس صحبة باكسه. أعطاني تعليقه على سيرتي الذاتية: "وثيقة حقيقية عن اليأس الإنساني تستأثر بالنفس".

– أعتقد أن تعليقك هذا سيرفع من قيمة مبيعات الكتاب.

قال ضاحكا:

– وهل ستقسم معي إذا بيع الكتاب جيدا؟

– سأفعل إذا بحثت لي عن ناشر في أميركا.

انزعج مما قاله عنه جنيه. كنا واقفين في رصيف شارع محمد الخامس قبالة سور الكسالى. قال:

– إن جنيه كذاب. أنا لم أكلمه في الهاتف كما قال لك. إن فرانسواز ساجان هي التي حاولت أن تجعل ذلك الاتصال يتم بيني وبينه.

– إنني أكتب مذكراتي عنك. فهل تريد أن أكتب ما قلته لي عن تكذيبك لما قاله عنك جنيه؟

– أوه. الأمر ليس مهما. لا شك أنه كان مريضا في ذلك اليوم. إنسان مريض. ربما هو يتناول كثيرا من أقراص نيمبوطال فلا يعود

www.mlazna.com-RAYAHEEN

يذكر جيدا ما حدث له.

وجدت جافن لامبرت جالسا في رصيف مقهى باريس يتشمس. حدثته عن انزعاج تينسي مما قاله جنيه عنه. قال جافن:

– نعرف أن جنيه كذاب. أنا أعرف جيدا تينسي. إنه صريح. ليس مغرورا مثل جنيه. حاول أن توضح ذلك في مذكراتك التي تكتبها عن تينسي في طنجة.

زرت بول. سلمت له تعليق تينسي عن كتابي ليبعث به إلى الناشر الانجليزي بيتر أوين. Peter Owen ذكر لي أن تينسي سيسكن في فيلا جميلة في الجبل الكبير.

٤-٨-١٩٧٣

كنت صحبة ادوار روديتي. كنا نبحث عن مكان مناسب في رصيف مقهى باريس. قلت له:

– ها هو ذا تينسي وصديقه الإنجليزي.

– كانا آتيين من شارع محمد الخامس. تبادلنا التحية. تحدث روديتي مع تينسي قليلا عن طنجة. التفت إليّ روديتي وقال لتينسي:

– أنا الذي قدمته إلى بول واقترحت عليه أن يترجم له كتاباته إلى الإنجليزية.

قال له تينسي باسما:

– جودْ جابْ. (أضاف:) لقد قرأت كتابه من أجل الخبز وحده وأعجبني.

صافحانا وذهبنا في اتجاه فندق المنزه. قال لي روديتي عن تينسي:

– إننا غير منسجمين، لكن مثل هذه المجاملة ضرورية بين الكتاب. إنني أعرفه عندما كان شاعراً مغموراً كما قلت لك من قبل.

٩-٨-١٩٧٣

١١.٥ صباحا.

كنت جالسا في رصيف مقهى باريس عندما وصل تينسي صحبة باكسه. جلسا وقال لي تينسي:

– غدا سأسافر إلى أوروبا.

قلت له:

– هكذا سريعا.

كان يبدو متضايقا قليلا. ربما بسبب باكسه الذي يبدو كتمثال جميل، لكن تينسي لم يرد أن يقوم بدور بيجماليون.

الحرارة خانقة. طلب تينسي كوكا باردة وكأسا من فرني – برانكا. صديقه طلب كوكا. كانت أمامي قهوتي بالحليب التي كرهت طعمها. لم يكن في جيبي أكثر من ثمنها. كنت راغبا أنا أيضا في تناول بيرة باردة، لكي أسكن غضبي على إفلاسي رحت أدخن بشراهة. كنت أحس بطعم التراب في فمي. قلت لتينسي:

– إنني سأكتب عن زيارتك لطنجة كما فعلت مع جنيه.

– عني أيضا؟ ماذا ستكتب؟

– مذكرات عن الأيام التي قابلتك فيها.

ضحك. مرت امرأة مغربية جبلية. التقط لها باكسه صورتين من الخلف. طلبت منه أن يأخذ لي صورة مع تينسي لأضعها في الكتاب

الذي سأكتبه عن تينسي. قال لي بصوت رخو:

– أعتذر. لم يبق لي في الشريط إلا ثلاث أو أربع صور أخرى لبعض البدويين المغاربة.

وقف قدامنا شاب يهودي تصحبه فتاة فرنسية قصيرة. حيانا ثم أخذ يتكلم مع تينسي بالانجليزية عن الموسيقى. يتكلم بسرعة ولا يتوقف إلا ليلتقط أنفاسه. تينسي يصغي له مندهشا. بين لحظة وأخرى يهز له تينسي رأسه متمتما:

– أهاه! إني أرى. إني أرى.

كنت أدخن بشراهة وأنظر إلى الشاب من خلال دخان سيجارتي. كانا، هو ورفيقته، واقفين في سكون. لم يكن يتحرك في الشاب إلا شفتاه. رفيقته تبدو كشاهدة على ما يقوله دون أن تفوه بكلمة. خيل لي أنهما ليسا من هذا العالم. فكرت: رجل وامرأة هبطا من عالم آخر. إنهما روبوطان. لم أفهم من الشاب سوى مثل هذه الكلمات: الجاز، البلوز، الشباب، حركة جديدة، تجارب جديدة، نريد مستقبلا آخر للموسيقى. نريد من يساعدنا.

قال له تينسي فجأة:

– أنا لا أفهم في الموسيقى. أعتقد أن بول بوولز، إذا كنت تعرفه، سيفيدك.

صافحه الشاب قائلا:

– إنني أعرف بول بوولز منذ سنوات. شكرا.. مع السلامة.

ثم انصرفا.

التفت إلي تينسي:

– هل تعرفه؟

سمعت أنه موسيقي ورفيقته تحاول أن ترسم.

قال:

– أنا لم أفهم منه شيئا، وأنت؟

– أنا أيضا.

– انه شخص غريب.

صاح رجل مغربي بالانجليزية كان جالسا عن يمين باكسه.

– هللو مستر تينسي! انني أعرفك منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما. كنت تأتي إلى السوق الداخلي. هل تذكرني؟

قال له تينسي:

– أعتذر. لا أتذكرك. إنه زمن بعيد.

– صحيح، إنها خمسة وعشرون عاما. كانت الحياة رائعة في طنجة آنذاك، خاصة في السوق الداخلي.

سألني تينسي بصوت خفيض:

– هل تعرفه أنت؟

– نعم، يظل اليوم كله جالسا في هذا المقهى وفي الليل ينتقل بين الحانات.

– ماذا يشتغل؟

– كل شيء ولا شيء. قيل لي أنه يلحس فروج النساء.

قال ضاحكا:

– انه شخص بليد.

صمتنا لحظة. قال:

– العالم مليء بالتفاهة والبلادة. يفتش الإنسان اليوم عن صديق فلا يجده. الموت أفضل من العيش في عالم تافه.

فكرت: تينسي يحب أن يكون وحيدا، لكنه أيضا يخشى الوحدة.

كتب لي عنوانه في كتاب رامبو الذي كان معي. نهض ليذهب إلى فندقه. عانقني بحرارة قائلا:

– ربما نلتقي ذات يوم. استمر في الكتابة.

صافحت باكسه ببرود. رأيت تينسي يمشي بخفة وباكسه إلى جانبه مثل روبوط.

«انتهى»

الفهرست

– قصة متكاملة عن جنيه ٥

جان جنيه في طنجة ٧

تينسي وليامز في طنجة ٩٧

– تقديم ٩٩

– تينسي وليامز في طنجة ١٠٣

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

ولد محمد شكري عام ١٩٣٥ في الريف بالمغرب. انتقلت عائلته اثر مجاعة الى طنجة. دخل المدرسة بشكل متاخر (في أواخر العقد الثاني من عمره). تُرجمت أغلب أعماله الى العديد من اللغات العالمية. يقيم اليوم في طنجة. صدر له: مجنون الورد، قصص (بيروت ١٩٧٩)، الخبز الحافي، سيرة ذاتية روائية (الدار البيضاء ١٩٨٣)، الخيمة، قصص (الدار البيضاء ١٩٨٥)، السوق الداخلي، رواية (الدار البيضاء ١٩٨٥)، زمن الأخطاء، سيرة ذاتية روائية (الدار البيضاء ١٩٩٢)، جان جينيه في طنجة، مذكرات (الرباط ١٩٧٣)، تينسي وليامز في طنجة، مذكرات (الرباط ١٩٨٣)، السعادة، مسرحية (الرباط ١٩٩٤). صدر له عن منشورات الجمل: السوق الداخلي، رواية، ١٩٩٧، بول بوولز وعزلة طنجة، ١٩٩٧.

محمد شكري: جان جنيه في طنجة، تينسي وليامز في طنجة
حقوق الطبع في اللغة العربية (باستثناء المغرب)
محفوظة لمنشورات الجمل ١٩٩٨
الطبعة الأولى، كولونيا، المانيا
الطبعة الثانية، ٢٠٠٦

© *Mohamed Choukri 1973, 1983*
© *Al-Kamel Verlag 1998*
Postfach 600501
50685 Köln . Germany
Tel: 0221 736982
Fax: 0221 7326763

قصة متكاملة عن جنيه

جان جنيه في طنجة

إحساسي هو أن كتاب شكري عن جنيه في طنجة لايحتاج إلى مقدمة. إنها صورة متكاملة عن جان جنيه. ومن يقرأ هذه المذكرات سيرى جنيه بنفس الوضوح الذي رأيته به في شيكاغو. وسوف أقتبس قليلا: «إن البوليس لم يكونوا بشراً قطّ. وفي اليوم الذي سيكونون فيه بشراً فلن يعودوا هم البوليس». بالضبط، لأن بعض البوليس قد يكونون أفضل من غيرهم، كما أن الإصابة بالرشح أفضل من الإصابة بداء الكلب، ولكن من يريد أن يصاب بالرشح أو بداء الكلب...؟

«ليست هناك (لا) مطلقة، ولا (نعم) مطلقة. ها أنا جالس معك الآن، ولكن يسهل جداً ألاّ أكون معك».

كانت مسألة حظ خالص أن يكون جنيه في شيكاغو سنة ١٩٦٨ عندما جاء ليغطي انتخابات الحزب الديمقراطي لمجلة «إسكواير» ESQUIRE.

«لا أنا بالوجودي، ولا بالعبثي. أنا لا أومن بتصنيفات من هذا النوع. لست إلا كاتباً، سواء كنت جيّدا أو سيئا».

أنا بدوري غالباً ما أفقد صبري تلقاء هذه التصنيفات. هل أنا كاتب ينتمي إلى البتنكس؟ أو كاتب سوداوي أو ما أشبه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN